الباب الثالث

الصحافة الإسلامية في موقف التحدي والمواجهة

بعد أن أوضح «المؤلف» مفهوم الصحافة الاسلامية شكلاً وموضوعاً وبيّن ما يجب أن تكون عليه نظرياً، وما تقوم به تجاه الأمة الاسلامية وشعوبها .

يرى «المؤلف» أن الموقف يتطلب معالجة الواقع الموجود فعلاً، وكيف يمكن تطبيق المطلوب عملياً ؟

فكان الباب الثالث، وقد تم تقسيمه إلى فصلين :

الفصل الأول :

« الاتجاهات المعاصرة وأثرها في الصحافة » .

الفصل الثاني :

« وظائف الصحافة الاسلامية في هذه المواجهة » ...(نماذج)

الفصل الأول

الإتجاهات المعاصرة[1] وأثرها في الصحافة

إن الصحافة ومعها وسائل الاعلام الأخرى ترتبط إرتباطاً وثيقاً بأنظمة الحكم على إختلاف اتجاهاتها .

فهناك نظام الملكية الاستبدادية ونظام الملكية الدستورية، وهناك نظم الجمهوريات بأشكالها المختلفة .

ولهذه الأنظمة صلتها القوية بالمذاهب السياسية، كالمذهب الفردي أو الرأسمالي، والمذهب الاشتراكي والمذهب الشيوعي، وهي المذاهب التي تمثل الصراع البشري بين الفرد والمجتمع، أو بين الطبقات التي يتألف منها المجتمع .

والاعلام هو الوسيلة السريعة التي يؤثر بها الحاكم في المحكوم، ويؤثر بها المحكوم في الحاكم، كما أنها الوسيلة السريعة للتفاهم بينهما .

إلا أن الحكام يتفاوتون تفاوتاً كبيراً في نوع التفاهم الذي يربطهم بالشعوب التي يحكمونها، فمنهم من يرفض هذا التفاهم

---

(١) النظريات الاعلامية السائدة حالياً .

ولايسمح به إطلاقاً، كما في الحكم الدكتاتوري أو الاستبدادي، ومنهم من يسمح به، كما في الحكم المسمى بالديمقراطي، ومنهم من يقيده بقيود خاصة، كما في الحكم الاشتراكي، ومنهم من يحرم المواطنين حرماناً تاماً من هذا التفاهم، ادّعاءً منه بأن الحكومة لاعمل لها إلا اسعاد الشعب بجميع فئاته، كما في النظام الشيوعي، وهكذا[1].

مما تقدم يعني أن المذاهب والاتجاهات الاعلامية تختلف تبعا لاختلاف وجهات النظر السياسية الحاكمة أو المتسلطة، كما يعني أن الاعلام هو الأداة الموجهة والمعبرة في نفس الوقت عن الاتجاه السياسي القائم ... والناظر في كل هذه المذاهب والاتجاهات أو في كل هذه الفروق والظروف يجد أن تصنيف هذه الاتجاهات والنظريات يتقرر على أساس قرب المذهب أو الاتجاه من الحرية أو بعده منها .

لقد بحث الكتاب الذين حاولوا تصنيف هذه المذاهب والاتجاهات، فوجدوا أن العالم على مدى عصوره التأريخية كان ولايزال محكوماً بنظرتين بارزتين من نظريات الاعلام هما :

١ ــ النظرية التسلطية .

٢ ــ النظرية التحررية .

وتولد عن هاتين النظريتين السابقتين، نظريتان أخريان أصبحتا تحكمان العالم في عصرنا الحديث أو تكادا، هما :

٣ ــ النظرية السوفيتية (الشيوعية)، التي تولدت عن نظرية السلطة .

---

(١) انظر عبداللطيف حمزه. الاعلام والدعاية. الطبعة الأولى. مطبعة المعارف. بغداد/ ١٩٦٨م - ص ١١٦-١١٧ .

٤ ـــ نظرية المسؤولية الاجتماعية، التي تولدت عن نظرية الحرية . وعليه فإن التصنيف للاعلام القديم يقف في الأعم الأغلب عند نظرية السلطة ونظرية الحرية .

نظـرة شاملة :

لعل الاشارة مناسبة في هذا الاطار إلى كلمة شاملة عن النظريات الاعلامية المعاصرة أو السائدة حالياً، قبل تناول فلسفاتها والأسس التي بنيت عليها، أو المستندات التي استندت عليها كل نظرية منها.

يرى بعض الكتاب أن النظريتين : السوفيتية (الشيوعية) ونظرية المسؤولية الاجتماعية لم يكن لهما وجود من حيث الفلسفة والتطبيق قبل التطور الصناعي والتقدم العلمي .

كما يرى البعض الآخر أن العصر الحاضر أعاد التصنيف، بحيث أصبحت هناك ثلاث نظريات، كل منهما تضم عدداً من الدول، طبقاً لأنواع الرقابة السياسية والقواعد التي تفرضها على وسائل الاعلام والمناهج السياسية التي تدعو إلى تثبيتها والدعاية والترويج لها .

ونظام الرقابة السياسية، أو النظام الحر، نشأ في بريطانيا وطبق في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الاستقلال، وفي عدد من دول العالم التي تمارس الديمقراطية بمعناها الأمريكي أو بمعناها «اللبرالي»[1] .

---

(١) انظر. د. عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام. الطبعة الأولى. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. مكتبة المعارف. الرياض. ص ٣٧ .

وهذا النظام يهدف إلى استخدام وسائل الاعلام لتمثيل الشعب، وللرقابة على الحكومة والموظفين العموميين. ونقد ما يستحق نقده مما يصدر عنهما، والحكومة لاتفرض قيوداً على وسائل الاعلام وما يصدر عنها من محتويات، إلا ضوابط قانونية خاصة بحماية الأعراض والأنفس والأموال ونظام الحكم من بعض الجرائم كالقذف والتشهير والتحريض وغيرها .

أي أنها «أصبحت حقا دستورياً جماعياً» ولم تعد اجتهاداً فردياً محصوراً في المبادرات الفردية .

ـــ والنظام الثاني المسمى بنظام الرقابة التسلطي على وسائل الاعلام، تكون فيه هذه الوسائل مملوكة ملكية خاصة باستثناء الأذاعة المسموعة والمرئية، وربما تفرض عليها رقابة رسمية أو غير رسمية، حتى لاتنشر مايضر الحزب أو أعضاء الحكومة.. التي منحت حق احتكار الصواب .

وهذه الوسائل لاتمثل الشعب – كما في النظام الحر – فمن يريد أن يصدر صحيفة أو مجلة أو يطبع كتاباً، فلا بد أولاً أن يحصل الفرد على إذن، وللرقابة حق مصادرة مايطبعه الفرد، ثم معاقبته وسجنه أو عزله .

وهذه النظرية هي أولى النظريات وجوداً في تأريخ البشر، ذلك أن البيئات القديمة – فيما عدا بيئة اليونان وبيئة المدينة المنورة على عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم – لم تعرف من أنظمة الحكم غير النظام الاستبدادي المطلق[1].

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١٢٩ .

وقد طبَّق هذه النظرية النظام النازي في المانيا والنظام الفاشستي في ايطاليا وأخذت بها الأنظمة الدكتاتورية العسكرية والحزبية في بلدان العالم الثالث كافة .

أما النظام الثالث من أشكال الرقابة السياسية فهو النظام الشمولي السوفيتي، النظرية الشيوعية .

وبعض الكتاب المختصين في ميدان الاعلام يدرج هذه النظرية في نظرية التسلط، وهذا صحيح حيث الحكومة والحزب هما اللذان يملكان وسائل الاعلام ويستخدمانها لتحقيق أهداف المجتمع، التي يرسمها ويخطط لها الحزب الشيوعي ومايفرضه من النزعة القمعية التسلطية، وتطبيقها العملي، وإن اختلفت النظريتان في مجال الفلسفة الأساسية في تفسير التأريخ والوقائع والأحداث ...

وفي مجال «الكذب العلمي» وهو مصطلح يفسره الشيوعيون على أنه خدمة لحركة التأريخ الكبرى .

ومفهوم هذا المصطلح أن الكذب العلمي – إن صحّ هذا التعبير – مدرسة يجتهد أصحابها في جمع الحقائق والمعلومات، ثم عند التفسير والتحليل يدخلون أكاذيب معينة لتحقيق هدف معين .

وقد يأخذ نظام يميني بنظرية التلسط في مجال الاعلام، وهو في نفس الوقت لايتبنى الفلسفة الشيوعية .

ـــ والنظام أو النظرية الرابعة هي نظرية المسؤولية الاجتماعية، وهذه النظرية نشأت خلال هذا القرن من خلال الاجتهاد في ايجاد صيغة أفضل وأكثر توازناً للحرية الاعلامية، أي أنها تحمل سمات

تبعدها عن التحرر الفوضوي وسمات أخرى تبعدها عن التسلط والتحكم[1].

وماهي إلا جزء من الجدل الدائر حول إقامة توازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في مجال الاقتصاد، وبين حرية التعبير والنقد وقيود القانون في مجال الفكر السياسي ... لتعبر الصحافة بما تشاء وليبث التلفاز ولتتحدث الإذاعة في نطاق الحرية، ولكن في الحدود التي لاتتناقض مع مصلحة المجتمع .

فلسفة النظريات الاعلامية ومستند كل منها :

١ ــ فلسفة نظرية السلطة : السلطة من أنظمة الحكم التي نتحدث عنها، هي التي تتمثل في الملك أو الخليفة أو الامبراطور أو الأمير أو الدكتاتور «فرداً أو حزباً» الذي لا يؤمن بالحرية وبالديمقراطية ولايسمح للشعب أن يشاركه في الحكم بصورة أو بأخرى .

وتستند «السلطة» باعتبارها نظاماً من أنظمة الحكم على فكرة «الحق الألهي المقدس» وعلى الفكرة القائلة «بأن الحاكم ظل الله وخليفته في الأرض»[2]

والمستند الذي استند إليه الحكام في إيمانهم بنظرية التسلط أو الدعوى التي أدعوها في نظرتهم لوسائل الاعلام المختلفة وماتبثه وتنشره، هي بدعوى مصلحة الشعب والحرص على تحقيق مصالحه .

---

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب. الاعلام في ضوء الاسلام ص ٣٨ – ٤٠ .
(٢) عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١١٨ .

فالفرد عندهم بلا حكومة ولا مجتمع، كأنه مخلوق همجي جاهل لايعرف مصلحته وكيفية الحفاظ عليها، ولايستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أهدافه إلا في ظل سيطرة الحكومة .

ولقد قسَّم أنصار هذه النظرية الناس إلى طبقات... فهم يؤمنون بالفروق بين الناس من حيث قدراتهم الجسمية والعقلية، كما قسموا من قبل كيان الانسان إلى قوى مختلفة ومتصارعة، وكما منحوا العقل حق التحكم في القوى الغرائزية والشهوانية في الجسم منحوا الطبقة المتسلطة الحاكمة حق احتكار الصواب، أي هم وحدهم أصحاب الحق في السيطرة الفعلية على سواهم من أبناء المجتمع .

نشأت هذه النظرية من أفكار بعض فلاسفة اليونان (أفلاطون وأرسطو مثلا) أي الميراث اليوناني الكنسي .

حيث جاءت الكنيسة فتبلورت هذه النظرية وأعطتها طابعاً دينياً كنسياً ...

لامعرفة إلا عن طريق الكنيسة .
لاتفسير للدين النصراني إلا عن طريق القسيس.
لاتعبير إلا بأذن الكنيسة.
لاتفكير إلا بأذن الكنيسة.
لابث ولانشر إلا بأذن الكنيسة)[1] .

وقد طبقت هذه النظرية – كما أسلفت – على نطاق واسع

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام له تأريخه ومذاهبة الطبعة الأولى ١٩٦٥م – ص ٩٣ ومابعدها .

في النظام النازي الألماني والنظام الدكتاتوري في إيطاليا وفي بلدان العالم الثالث، وبخاصة في بلاد عالمنا العربي، طبقت الأنظمة الدكتاتورية العسكرية والحزبية هذه النظرية على وسائل الاعلام حتى يومنا هذا .

ما تقدم يشير إلى أن الحاكم المطلق هو وحده صاحب الحق في الهيمنة على أمور الأمة وتصريف مصالحها في كل الميادين، ولكن في العصور القديمة كثيراً ما يدرك هذا الحاكم أنه لايستطيع أن يقوم بهذه السلطة على وجهها الأكمل، لأنه كثيراً ما تعرض له أمور يجهل حقيقتها، فلا يستطيع أن يبت فيها، فلا بد والحالة هذه من أخذ أراء الحكماء أو العلماء ويشورون عليه بالمشورة الصالحة والأراء الراجحة .

وهذا ماحدث منه في الدول الاسلامية «الدولة الأموية» «الدولة العباسية» حيث كان هناك مايسمى «بأهل الحل والعقد» وهم جماعة من علماء الدين كان يستشيرهم الخليفة فيما يستعصي عليه من الأمور .

وقبل عصر النهضة في أوربا حدث الأمر نفسه فقد كانت الفكرة التي تستند إليها الدول الأوربية في ذلك العهد هي الفكرة القائلة (بأن الحقيقة لاتنبع من جمهور العامة ولكن تنبع من أذهان الخاصة، وهؤلاء هم الحكماء والعلماء ومن إليهم) [1] .

وهكذا كان العمل الاعلامي عموماً حكراً على الحكام والملوك

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨ .

وعلى أذهان الخاصة وهم صفوة الأمة، وعليهم تقع مسؤولية الارشاد والتوجيه ... و (السلطة) وحدها لها الحق في ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الاعلامي في أوربا وبيدها أيضا الحق في منح تراخيص لمن يرغب من الناس إصدار صحيفة أو مجلة أو كتاب ...[1]

بعض القيود التي فرضتها السلطة على وسائل الاعلام :

لقد فرضت الحكومات الأوربية الآخذة بهذه النظرية قيوداً كثيرة على الصحافة وبقية وسائل الاعلام، منها :

١ ــ قيد التراخيص : فلا تمنح الحكومة المتسلطة الرخصة إلا لشخص تطمئن إليه ولاتشك في اخلاصة لها ولسياستها .

وهذا يعني أن الحكومات الأوربية على الرغم من ايمانها بنظرية السلطة واحتكارها لوسائل الاعلام. فقد منحت من تثق بهم تراخيص لاصدار صحف ومجلات ونشرات .

وهذا ــ كما أرى ــ يعني ضمناً احتكار هذا النفر المناصر والمؤيد للحكومة لدور الصحف والنشر أيضا، وبالتالي احتكار السلطة المطلقة لها بصورة غير مباشرة عن طريق زبانيتها من هؤلاء .. وقد أُتبع هذا الاسلوب ومازال في معظم البلاد العربية والاسلامية الآن، وأظن أن الأمر ليس بخاف على كل ذي حصاة .

٢ ــ قيد الرقابة : لمست الحكومات أن بعضاً من الطابعين والناشرين ممن احتكروا دور الصحف والنشر لم يلتزموا أحيانا بأمور

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام والدعاية ص ١١٨ - ١١٩ .

الحكومة وسياستها العليا أو لم يكن قسم منهم ذا قسط وافر من الثقافة يفهم ماتريده الحكومات في سياستها ونهجها، وبذلك فقد أخضعتهم للرقابة خاصة في مسائل السياسة والدين، وعيّنت مشرفين لهذا الغرض .

٣ ــ قيد المحاكمات العامة : إن التراخيص والاحتكارات لم تؤد الغرض الذي كانت تنشده وتسعى إليه سلطة الحاكم وكثيراً ما كانت توجه تهمة الخيانة العظمى للصحف، وقد كان لهذه الخيانة صورتان :

الأولـــى : انقلاب ضد الحكومة .

والثانية : المشاركة الفعلية في نشاط تنظيمي، قد يساعد إلى هذا الانقلاب ... وقد دأبت الحكومات – خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين – إلى تطبيق المواد الخاصة بتهمة الخيانة أو التحريض على نطاق واسع، وبالذات على الأفراد الذين ثبت أنهم يساعدون الأعداء في وقت الحرب، أو الأفراد الذين يبثون الشوائع أو المقالات أو المنشورات، يستهدفون من ذلك اشاعة اليأس وروح الهزيمة .

٤ ــ شراء الصحافة والصحفيين : أيضاً ثبت أن جميع الطرق المتقدمة لم تف بالغرض المطلوب، وهو الوصول إلى صحافة موالية كل الولاء للحكومة، مسيطرة تماماً ومسئولة على الرأي العام .

فعمدت الحكومات في خلال القرن الثامن عشر أسلوباً آخر، وهو منح الأموال السرية والهدايا إلى أصحاب الصحف، وشراء ذمم بعض الصحفيين وضمائرهم ، مما يجعل هذه الصحف تنضوي

تحت راية الحكومة تبث وتروج لسياستها وتبدي لها التأييد الكامل، وبالطريقة ذاتها اشترت الحكومات أقلام العديد من الكتاب والأدباء بعدّ أن تمكنت من شراء رجال الصحافة والاعلام .

وهذا الأسلوب أيضاً متبع في معظم اقطار عالمنا العربي الاسلامي اليوم، فكثير من الأنظمة خصصت أجزاءً من ميزانياتها الدعائية لمثل هذه الأساليب، سواء في داخل البلد أو في خارجه .

تعالوا لنستقرأ معاً ذلك الخبر البارز الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط بتأريخ ١٤٠١/١١/١٩هـ الموافق ١٩٨١/٩/١٧م بعددها رقم/ ١٠٢٤ تحت عنوان :

«جائزة سنوية لأحسن تحقيق صحفي يحارب التخريب الاعلامي» ومما جاء فيه :

أن سير جيمس فولد سميث صاحب مجلة «اكسبريس» الأسبوعية الفرنسية يعتزم تخصيص جائزة سنوية قيمتها خمسون ألف جنيه استرليني (٥٠٠) خمسمائة ألف فرنك فرنسي لمكافأة الصحفيين، الذين يجرون تحقيقات لمحاربة عناصر الهدم والتخريب داخل أجهزة الاعلام .

وإن الهدف من هذه الجائزة هو تشجيع التحقيقات الصحفية الرامية الى كشف النقاب عن التدخلات التي تمارسها في الصحافة حكومات أجنبية تستأجر صحفيين، وتشجيع الصحافة على تطهير صفوفها، وقد ضرب سميث مثالا لهذه الممارسة، حالة المطبوعات التابعة لليسار البريطاني المتطرف ... تقاضت مبالغ من ليبيا .

فما أظن أن هناك إنساناً واعياً إلا لمس ويلمس تفشي مثل هذا الشيء في الكثير من أقطار عالمنا العربي ... حيث تنقل إلينا الأخبار بأن الصحيفة الفلانية تابعة للحكومة الفلانية وهى التي تمولها، وأن الصحفي فلان ما هو إلا بوق دعاية للحكومة الفلانية وتدفع له المال.

٥ ــ قيد الضرائب : يوجد كثير من الصحف يعتمد على التوزيع والأرباح التي يحصل عليها من الاعلانات وغيرها، وهذا النوع من الصحف وأصحابها لايأبهون بالحكومة ومساعداتها وكثيراً ماتجد القدرة في نفسها على توجيه النقد العنيف للحكومة لاتهتم بما تصدره هذه الحكومة من أنظمة وقوانين .

عند هذا تضطر الحكومة أو يضطر الحاكمون إلى فرض نوع من الضرائب على هذا النوع، بغية التأثير في أرباح الصحيفة. مما يدعها تخفف من لهجتها في النقد كي تتمكن من الاستمرار والبقاء[1] .

تلك هي أبرز الأساليب أو القيود التي سارت على نهجها الدول المؤمنة بنظرية السلطة المطلقة في الحكم، ومن خلالها يظهر لنا بجلاء ذلك الصراع الكبير بين الدولة من جهة والأفراد من جهة أخرى، وكذا أسلوب الاحتيال الذي ينهجه كل منهما تجاه الآخر من أجل تنفيذ أغراضه وأهدافه .

---

(١) أنظر. عبداللطيف حمزة. الاعلام له تأريخه ومذاهبه ص ١٠٢ – ١٠٤ .

وقفة مع منهج الاسلام :

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه « الاعلام له تأريخه ومذاهبة»[1] «إلا أننا حين نسأل أنفسنا ماهي الأفكار التي كانت وراء «نظرية السلطة» في العصرين القديم والوسيط من عصور الاسلام ؟ لم نجد في الواقع إلا فكرة واحدة فقط هي الفكرة القائلة «بأن الحاكم ظل الله في أرضه» .

وهنا يعجب الباحث كيف استطاعت هذه الفكرة الرهيبة أن تخفي غيرها من الأفكار السديدة المعقولة التي أتى بها القرآن الكريم وبشَّر بها الرسول العظيم ﷺ ونادى بها الخلفاء الراشدون ... ومنها أن الناس سواسية كأسنان المشط، ثم منها الفكرة التي عبر عنها (عمر رضي الله عنه) بقوله «متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»؟ ومنها الفكرة التي صوّبها القرآن الكريم في قوله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[2] . ثم منها الفكرة التي عبر عنها قول الرسول ﷺ : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3] ونحو ذلك .

صحيح أن كل فكرة من تلك الأفكار لم ترق في يوم من الأيام إلى أن تصبح مذهبا من المذاهب السياسية أو المذاهب الاجتماعية، ولكنها برغم هذا وذاك كانت تصلح لأن تكون أساساً

(١) ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة الشورى - الآية / ٣٨ .

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده عن عمران بن حصين والحكم بن عمرو الغفاري. ورواه الحاكم في مستدركه. وورد بإسناد صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بلفظ «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل» .

قوياً لحياة اسلامية قوية بعيدة كل البعد عن مظاهر البطش بالرعية والتضحية بمصالح الأفراد من أجل مصلحة الحاكم المستبد بالسلطة. لانكاد نستثني من هؤلاء الحكام المستبدين غير نفر قليل من الخلفاء والأمراء والسلاطين شهد لهم التأريخ بتوخي مصلحة الرعية .

واليوم في بعض اقطار عالمنا العربي الاسلامي هدماً وتمزيقاً لمبادىء الحرية والشورى «الديمقراطية السليمة» – التي كانت سائدة في عهد الرسول والخلفاء – ابتداء من عهود الأمويين والعباسيين التي بنيت فيها السياسة على الأنانية والتعسف ، أمثال زياد والحجاج وخطب الولاة العباسيين بعد ذلك .. وأنتهاءً بنفر من الحكام الطغاة المتسلطين على شعوبهم، يسرقون خيرات بلادهم، بل ويدمرونها اشباعاً لرغباتهم ونزواتهم الفردية الانانية ... بمعنى أنه أصبح وراء نظرية السلطة في عالمنا الاسلامي مجموعة من المبادىء والأفكار بعيدة عن الأفكار والمبادىء السديدة المعقولة التي جاء بها القرآن الكريم، وبشَّر بها الرسول ﷺ ونادى بها الخلفاء الراشدون وهي أفكار ومبادىء بعيدة عن البطش والتقتيل والتدمير والاستكبار .

فلسفة نظرية الحرية :

نشأت هذه النظرية في المجتمع الأوربي وفي بريطانيا نتيجة لتطورات فكرية ولأحداث سياسية واجتماعية، منها نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م الثورة التي ادعت اعلان حقوق الانسان، وطبقت على نطاق أوسع في الولايات المتحدة الأمريكية بعد

الاستقلال. وترجع هذه النظرية الاعلامية إلى أصول النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ونظرته الكلية إلى الحياة والانسان والقيم .

وفلسفة النظرية – تقول : إن العالم ماهو إلا آلة ضخمة ذات حركة مستمرة وهي تسير إلى الأبد وفقاً لقوانين الطبيعة .

وفلاسفة هذا المذهب يرون أن الانسان مخلوق يسيره العقل لا العاطفة أو المصلحة الضيقة، وإذا ما استخدم هذا الانسان عقله فإنه يتمكن من كشف قوانين الطبيعة التي تحكم الكون، كما أنه يستطيع أن يجعل مؤسساته تتمشى في وئام مع هذه القوانين وبالتالي سيبني مجتمعاً عادلاً .

كما يرى أصحاب هذا المذهب أن الناس يولدون وهم مزودون بحقوق طبيعية معينة تحد من سلطة الحكومة وتطالب بحماية الفرد وممتلكاته .

وما هذه الحقوق إلا جزء من التدبير الالهي، كالقوانين التي يعمل الكون بمقتضاها.

وخير طريقة تؤمن بها الحكومة هذه الحقوق، هي أن تترك الفرد حراً بقدر المستطاع وإذا أخفقت الحكومة في حماية حرية المواطنين وممتلكاتهم. فإنها تكون قد أخفقت في تحقيق أغراضها. وهنا يكون من حق الشعب وواجبه أن ينشيء حكومة جديدة تمكنه من التمتع بحريته .

ويقول أصحاب هذا المذهب إن الحقيقة لاتستمد من السلطة

وإنما تستمد من عقل الانسان، أي أنها ليست حكراً على القلة الحاكمة، ذلك أن الانسان لايقاد ولايوجه نحو الحقيقة، وإنما هو الذي يكتشفها ويجدها بنفسه وبعقله الذي حباه الله به، فاذا ما استخدم الانسان عقله استخداماً حراً، يستطيع أن يكتشف الحقيقة الشاملة التي توحد الكون وماعليه من ظواهر [1].

بناء على ماتقدم فإن الذي يراه أصحاب هذه النظرية هو أن سعادة الفرد ورفاهيته المادية هي الغاية الأولى والأخيرة من وجود المجتمع .

وما وجود المجتمع إلا في سبيل مصلحة الفرد – كما يذكر لنا ذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الإعلام في ضوء الاسلام»[2] فلا بد من إتخاذ الاحتياطات التي تحمي الفرد من استبداد المجتمع والحكومة. وأن الفرد أسمى من الدولة وما الدولة إلا وسيط يمارس الفرد من خلاله كل نشاطه .

وكما أن النظرية الشيوعية – سيأتي تفصيلها – تطرفت في تقديرها للمجتمع وتصورها لحقوقه، وربط حرية الفرد بفهمه لقوانين الاجتماع وضرورات الحياة العامة .

تطرفت النظرية المسماة بالتحررية في تقديرها للفرد وتصورها لمكانته وحقوقه وربط حريته بما يهوى ويريد .

---

(١) أنظر. ريفرز وتيرسون وجنسن. ترجمة د. إبراهيم إمام. وسائل الاعلام والمجتمع الحديث – ١٩٧٥م. دار المعرفة. القاهرة. ص ٩١–٩٢ .

(٢) أنظر ص ٤٨ .

يتضح مما تقدم أن كلا من النظرية الشيوعية والنظرية التحررية أخطأتا الفهم والتقدير وغالت كل منهما في منح الحقوق والتصور، مما يؤدي إلى هدم المجتمع بكامله وإلى تفككه، فالفرد ماهو إلا جزء من المجتمع مكمل له، والمجتمع لايمكن أن يتكون ويتكامل إلا بالفرد .

نظرية الحرية في الصحافة :

وفقاً لنظرية الحرية ينبغي أن تكون للصحافة قاعدة كبيرة من الحرية كي تساعد الناس في بحثهم عن الحقيقة، ولكي يصل الانسان إلى الحقيقة عن طريق العقل ينبغي أن تتاح له حرية الوصول إلى المعلومات والأفكار، وهو يستطيع أن يميز فيما تقدمه له الصحافة بين الحقيقي والزائف باستخدام عقله. فهو قد يجد بعض الصدق مختفياً وراء الكذب، كما يجد بعض الزيف مختفياً وراء الحقيقة، ولكن على المدى الطويل تظهر الحقيقة من خلال التفاعل الحر بين المعلومات والأفكار إذا كان الانسان صادقاً مع عقله، وعلى ضوء ذلك فإن التعبير الاجتماعي لن يأتي عن طريق القوة وإنما عن طريق النقاش والإقناع .

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الرقابة على الصحف قبل النشر رذيلة، لأمور ثلاثة :

أولهـا : أنها تنتهك الحق الطبيعي للانسان في حرية القول .

وثانيها : أنها تمكن الطغاة من الاستمرار في السلطة وتجعل من الدولة عدواً للحرية بدلاً من أن تكون حامية لها .

وثالثها : أنها يمكن أن تعوق – مؤقتا – عملية البحث عن الحقيقة عن طريق الاخلال بالتوازن في العملية الدقيقة التي عن طريقها تظهر الحرية في نهاية الأمر، وإذا كان للانسان أن يكتشف الحقيقة فيجب أن تتوافر له جميع المعلومات والأفكار وليس فقط تلك المعلومات والأفكار التي يغذى بها [1].

فلاسفة هذه النظرية ومستندها :

إن أشهر الفلاسفة الذين روجوا لهذا المذهب (الحر) وقامت على أفكارهم وأرائهم هذه النظرية هم :

جون لوك : الإنجليزي، الذي بنى فلسفته على أساس «أن الشعب مصدر السلطات» وما الحكومة إلا هيئة من الأوصياء اختارها هذا الشعب، وفوض أمره إليها، ومنحها الثقة، ومن حق الشعب سحب هذه الثقة متى أساءت الحكومة بحق من حقوقه.
وعن لوك أخذت هذه النظرية في الصحافة افتراضين جوهريين هما:

«عقلانية الإنسان، وحرية التعبير كحق طبعي» مستنداً بهذا على أساس ما قاله اسحق نيوتن، حول طبيعة الكون المنظمة والقانون الطبعي والحقوق الطبعية وعقلانية الإنسان وعدم التدخل الحكومي

---

(١) وسائل الاعلام والمجتمع الحديث. (مصدر سبق ذكره) ص ٩٣-٩٦ .

– أي أنه ينظر إلى الكون كآلة منتظمة أبدية لا تتغير وتسير وفقاً لقوانين طبعية معينة – يمكن اكتشافها[1].

جون ملتون : ناقش ملتون حرية الفكر في النظام الحر معبراً عن رفضه وكراهيته لنظام المراقبة والترخيص بصدور الكتب والنشرات والصحف.

ولقد دافع في كتابه (أريوباجيتيكا) عن حرية الصحافة، وكانت من أقوى حججه الفلسفية التي أسهم فيها في حرية الصحافة، هي أن الحقيقة تنبثق عن المواجهة الحرة المفتوحة بين الأفكار.

وقد استوعب التيار الرئيس للنظرية فكرة ملتون «عن عملية التصحيح الذاتي» وهي الفكرة القائلة : بأن التعبير الحر يحمل تصحيحه في طياته، أي بعبارة أخرى أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى الحقيقة والصواب في مسألة من المسائل حتى يطّلع على آراء المخالفين له، من أجل أن تتاح الفرصة لتقابل الحقائق وجهاً لوجه في حرية وصراحة كاملتين[2].

جون أرسكين : دافع أرسكين عن الناشرين والطابعين، ومعالجة مشكلة العلاقة بين الحكومة والطباعة، ويعتبر أرسكين أن القانون الطبعي والحقوق الطبعية تحدد سلطة الحكومة، ولما كان التعبير طبعياً، فلا يجوز للحكومة أن تقيد الصحافة سواء قبل النشر أو بعده مادامت

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٩٧

(٢) انظر د. عمارة نجيب – الإعلام في ضوء الإسلام ص ٥٠

المادة المنشورة تستهدف التغيير السلمي، سواء فيما يخص الموضوعات الحكومية أو الخاصة[1].

توماس جفرسون : في أمريكيا حيث انبثقت معتقداته بشكل طبعي من فلسفته السياسية، وقد آمن جفرسون بأن الصحافة ينبغي أن تتمتع بأوسع قسط من الحرية كي تقوم بواجباتها، وقال عن الصحافة «إن الصحافة هي أفضل أداة لتنوير عقل الإنسان وتطويره ككائن عقلاني وأخلاقي واجتماعي»[2].

وهو يذهب مذهب أرسكين في كون الحكومة لا ينبغي لها أن تعوق عمل الصحافة حتى ولو كان ذلك لإنقاذها.

بل يرى جفرسون بأن تكون الصحافة رقيباً على الحكومة، والحكومة التي لا تصمد أمام الرقابة والنقد من قبل الصحافة، ينبغي أن تسقط سلمياً عن طريق الرأي العام لا بالعنف والقوة[3].

جون ستيوارت مل : لقد بنى مل دفاعه عن الحرية على أساس المبادىء النفعية لا على الحقوق الطبعية.

وكان يرى أن كل عمل إنساني يجب أن يستهدف خلق أعلى درجات السعادة والرفاهية لأكبر عدد من الناس في المجتمع، فلا بد من أن يمنح الفرد الحق في أن يفكر ويعمل كما يشاء، فهو يحتاج إلى الحرية كي يصل بقدراته إلى أقصى درجات ازدهارها، وإذا سعد الفرد سعد المجتمع أيضاً[4].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٠

(٢) انظر. وسائل الإعلام والمجتمع الحديث (مصدر سبق ذكره) ص ١٠١

(٣) انظر. د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٥١

(٤) المصدر السابق ص ٥٠

هؤلاء هم أشهر فلاسفة المذهب الحر، التي استندت هذه النظرية على أفكارهم وأرائهم الفلسفية.

ويعتبر كل من لوك وملتون من أبناء القرن السابع عشر، وجون وجفرسون من أبناء القرن الثامن عشر، وستيوارت مل من أبناء القرن التاسع عشر.

وبهذا يكون مستند هذه النظرية ومرجعها إلى أصول النظام الاجتماعي والسياسي ونظرته العامة إلى الإنسان والمبادىء، أي ترجع :

١ — إلى أصول المذهب الاقتصادي الحر، أو التجارة الحرة، المعبر عنها بعبارة «دعه يعمل – دعه يربح – دعه يمر».

٢ — إلى أصول الديمقراطية السياسية أو الفكر السياسي «حرية تكوين الأحزاب، حرية التعبير والنقد»

٣ — إلى أصول العلاقات الاجتماعية والعلاقات الجنسية بالذات.

فالحرية في هذه النظرية الإعلامية هنا جزء من نظام يبيح الكسب الاقتصادي وفق نظرية (آدم سميث) الاقتصادية، نظام يبيح التعبير والنقد وفق نظرية فلاسفة (الحق الطبعي) نظام يبيح العلاقات الجنسية المحرمة وفق نظرية (إذا انتفى الاكراه أصبح كل شيء مشروعاً).

يتضح مما تقدم، أن هذا المذهب، قد شجع من الناحية الاقتصادية على ظهور الديمقراطيات الرأسمالية، والاحتكارات بأوسع مفاهيمها، وإذا حقق هذا المذهب حرية في الصحافة وبقية وسائل الإعلام، إلا أنها (الصحافة خاصة) قد تطورت هي الأخرى في ظل هذا النظام إلى صناعة من

أضخم الصناعات الحديثة، واحتاجت إلى رؤوس أموال كبيرة، مما أدى إلى تخليها تدريجياً عن قضايا الرأي والشعوب، واتجاهها إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح المادي باعتبارها مشروعاً تجارياً يشجع على الاحتكارات.

وهكذا قامت هذه الفلسفة على ضرورة اطلاق الإنسان على هواه مادام لا يؤذي الآخرين، ونسيت أنه قد يؤذي نفسه، بل كثيراً ما يؤذي نفسه وهو يظن أنه يسعدها، وهذا ما قد حدث فعلاً، واستغله اليهود أسوأ استغلال، إذ أن الحرية والمطالبة بها بدأت واشتدت في إنجلترا حيث كان الكثير من اليهود يقيمون ويعملون في بريطانيا، وهذا يعني أن المطالبين بالحرية لم يكونوا مدفوعين لطلبها بدافع مصلحة إنجلترا فقط، بل أيضاً لصالح اليهود تجار الأموال والأعراض والمخدرات والدسائس، حتى واجهت أوربا وأمريكيا نتائجه الخطيرة الآن، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، اللهم إلا تلك المحاولة البديلة والمطروحة الآن في نظرية جديدة تسمى نظرية المسؤولية الاجتماعية، ولن يكون نصيبها أفضل من سابقتها، ما دامت تعطي اليهود حق التجارة في أعراض الناس، وحق الكسب بالخمر والجريمة، وأوهام التقدم والرفاهية.[1]

٣ ــ فلسفة نظرية المسؤولية الاجتماعية :

نتيجة لإيمان نظرية الحرية المطلق بالحرية العامة للفرد، تولدت

---

(١) المصدر السابق ص ٥١.

ظواهر ومشاكل اجتماعية، على رأسها تضخم رؤوس الأموال والاحتكارات، بحيث نشأ عن هذا وجود طبقتين في المجتمع الرأسمالي هما : طبقة الأغنياء المسرفين في الغنى، وطبقة الفقراء إلى أدنى درجات الفقر، مما حدى بالنقاد أخيراً إلى مراجعة صحة نظرية الحرية في الصحافة ودقة وصفها للإنسان والمجتمع، وبشأن طبيعة الحقيقة والحرية، وهل هناك حدود لهذه الحرية.

بعد الحرب العالمية الثانية ارتفعت الاحتجاجات والشكاوى من حرية الصحف في أمريكيا وغيرها من البلاد الرأسمالية، تلك الحرية التي نجم عنها فساد الأخلاق وانحطاط القيم الإنسانية، وشرع كل بلد من هذه البلدان الرأسمالية يفكر في إيجاد طريقة مناسبة لمقاومة هذه الأخطار التي خلفتها حرية الصحافة. وظهرت في أكثر بلاد العالم الحر فكرة تهدف إلى إنشاء «مجلس أعلى للصحافة» من شأنه مراقبة الصحف والحد من انحرافاتها بجميع ما يمكن من الوسائل[1]

نشأة نظرية المسؤولية : من خلال الاجتهاد في إيجاد صيغة أفضل لما خلفته وسببته النظرية السابقة، المليئة بالثقوب والسلبيات المضرة بمصلحة المجتمع بشكل عام. ثم إيجاد توازن سليم لحرية الصحافة وبقية وسائل الإعلام الأخرى. نشأت في أوائل القرن العشرين «نظرية المسؤولية الاجتماعية»

وهي بأفكارها ومعتقداتها وقيمها مثل سابقتها – نظرية الحرية – فهي تعترف بالوظائف اللبرالية في تنوير الجماهير وخدمة

---

(١) انظر. عبداللطيف حمزة. الإعلام والدعاية ص ١٢٣

النظام السياسي وصيانة الحقوق المدنية لكنها تعبر عن اعتقادها بأن الصحافة وبقية وسائل الإعلام لم تقم بأداء واجباتها بالكفاءة التي ينبغي أن تؤديها في الديمقراطية الصناعية الحديثة.

ونظرية المسؤولية تقبل أيضاً مهام خدمة النظام الاقتصادي، وتقديم الترفيه وتحقيق الربح، لكنها في ذات الوقت تضع هذه المهام في مرتبة ثانوية تلي الوظائف الهامة. وهي النهوض بالعمليات الديمقراطية والتنوير العام.

وهذه النظرية تفترض أساساً أن الحرية، بما في ذلك حرية الصحافة، لا يمكن تعريفها بمعزل عن مسؤولية ممارستها.

فوسائل الإعلام التي تتمتع بالحماية والمكانة المرموقة في ظل القوانين والأعراف الأمريكية عليها التزام قبل المجتمع للقيام ببعض المهام الجوهرية في الديمقراطية الصناعية الحديثة المعقدة، فإذا ما تحملت وسائل الإعلام مسؤولياتها وجعلتها أساس سياستها في العمل فلا ضرورة لعلاج يضمن تلبية احتياجات المجتمع المعاصر[1]

مستند النظرية :

يتبين مما تقدم أن المستند أو الأساس الذي قامت عليه هذه النظرية، هو أن الحرية حق وواجب ونظام ومسؤولية في وقت واحد، أي أن كل حق يقابله واجب، وأن حرية الصحافة وبقية وسائل الإعلام ينبغي أن تقترن بالمسؤولية الاجتماعية، وتعبر عن هذه المسؤولية.

---

(١) انظر وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ص ١١١ - ١١٢

فللصحافة الحرية في التعبير والنشر، وللتلفاز والإذاعة حرية في البث والتحدث، ولكن دون أن تتعارض أو تتناقض مع مصلحة المجتمع العامة.

والصحافة هنا ليست ملكاً للأفراد بقدر ما هي ملكاً للصالح العام، بعبارة أخرى – وكما اسلفت – فهذه النظرية ما هي إلا جزء من الجدل الدائر حول إقامة التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع في مجال الاقتصاد، وبين حرية التعبير والنقد وقيود القانون في مجال الفكر السياسي.

من أهم واجبات هذه النظرية :

ذكرت آنفاً أن الأساس الذي تبنى عليه نظرية المسؤولية، هو أن الحرية حق وواجب ومسؤولية في وقت واحد ... فمن هنا يتحتم على الصحافة وبقية أجهزة الإعلام أن تقوم بالواجبات التالية :

١ ــ الحفاظ على النظام السياسي القائم، وذلك عن طريق إعطاء الناس أكبر قدر ممكن من التغطية العريضة للأنباء والمعلومات الصادقة والشاملة، كما يجب أن تنشط في النهوض بما يخدم المجتمع ويسعده.

٢ ــ العمل على خدمة المصلحة الخاصة والعامة، والمحافظة على سمعة كل منهما. مع رقابة أعمال الحكومة والقطاع الخاص والعام، والتمسك بمبدأ موضوعية الأخبار.

٣ ــ القيام بخدمة النشاط الاقتصادي، عن طريق الإعلانات التي

تهم البائع والمشتري على حد سواء، وعن طريق التوجيه إلى أفضل وسائل التنمية والتشجيع عليها.

٤ ــ العمل في كل الأحوال لصالح الجمهور وراحته وتلبية احتياجاته بتقديم برامج تعليمية ومواد ترفيهية وفق المسؤولية الاجتماعية وفي حدودها.[١]

نتيجــة :

إذا تمكنت هذه النظرية من حل المشكلات الناجمة عن نظرية الحرية، نتيجة للتقدم العلمي وللتغيرات الاجتماعية التي أحدثتها الثورة الصناعية. وما يتبعها من الزيادات في حجم التعليم واستهلاك الصحف. والاحتكار وغيرها، فإنها في ذات الوقت عجزت عن حل المشكلة الكبيرة المتمثلة في خضوع الصحافة والإذاعة لرأس المال. كما أنها عجزت عجزاً تاماً عن تقديم الحلول الصحيحة للمشكلات الاجتماعية والأخلاقية ابتداءً من الفرد فالأسرة فالمجتمع. وكذا مشكلة الحرب والسلام.

٤ ــ فلسفة النظرية الشيوعية «السوفيتية» :

إن الأساس الذي تقوم عليه فلسفة هذه النظرية، هو الفكر الماركسي المادي الجدلي، الذي يضع المادة في المقام الأول ويعتبرها كل شيء، بل أنها مفضلة على فكر ووعي الإنسان، وما الإنسان إلا آلة مسخرة بينه وبين الدولة.

---

(١) انظر د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٦٢

كما أن الماركسية ترى أن إعادة بناء الإنسان من جديد بناءً لا يغير فقط من تفكيره بل يغير من غرائزه، باعتبارها كلها نتاج النظم السابقة على الشيوعية، ومن مهام الشيوعية تغير نتاج الماضي كله.

ولا اريد الاستطراد في شرح الفلسفة الشيوعية، لأن مجال الكلام فيها واسع، وأظنه أيضاً ليس هذا مقامه، إذ قد يخرجنا عن المحاور الرئيسة لهذا المؤَلَف.

فعلى وسائل الإعلام – حسب ما تراه هذه النظرية – واجب القيام بالقسط الكبير والفعال في هذا الدور، وأن يتحرر الإنسان من ميراث الماضي كله، ليتشكل تبعاً للظروف والمتطلبات المادية، وأن يتطور تبعاً لتطور الإنتاج المادي الاشتراكي ووسائله، أي يجب أن يتحرر من الالتزامات الدينية والخلقية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، لأنها غير علمية أو غير ماركسية، ثم تعود لتلبس ملابس الإلحاد اللاأخلاقي.

إذن «**فمستند**» النظرية السوفيتية : هو أراء وأفكار ماركس أو كما ذكرت سابقاً فمنهجها هو نفس منهج نظرية السلطة. أو هي مندرجة فيها، لا فرق بينهما سوى أن نظرية التسلط كانت نوعاً من الحكم المطلق المكشوف الاتجاه والمعلن عن موقفه. أما النظرية الشيوعية فتلجأ إلى التضليل والكذب، وكل منهما يتصف بالنزعة القمعية الدكتاتورية وأسلوب التطبيق العملي لهذه النزعة.

فعن طريق الحزب الشيوعي الحاكم يتحدد الصالح العام والخير العام – في نظر أصحاب هذه الفلسفة – وعليه فلا بدّ من أن

تكون وسائل الإعلام ومضامينها ملكاً للحزب. ولا مانع من أن يقال أنها ملك للشعب.

الصحافة والنظرية الشيوعية :

الصحافة لدى الشيوعيين صحافة حرة وواقعية مرتبطة بالطبقة الكادحة وتتحدث بلسانها ولقد نص في دستورهم – كما يزعمون – على كفالة :

١ ــ حرية القول.

٢ ــ حرية الاجتماع، بما في ذلك الاجتماعات الشعبية.

٣ ــ حرية التجمع والمظاهرات التي تقوم لهدف محدد، ولهذا نص الدستور على تحديد هذا النوع المسمى بالحرية وغايتها بوضع آلات الطباعة والورق والمباني العامة والمواصلات والطرق وسائر أنواع التسهيلات والاحتياجات العامة تحت تصرف الطبقة الكادحة والتي يمثلها الحزب الشيوعي والمنظمات التابعة له ... وهكذا أطلقت الحرية لهذه الطبقة وبإسمها لتمارس جميع الحقوق، التي نص عليها الدستور، فيما يخص الصحافة ووسائل الاتصال، كما زعموا أن التأميم للوسائل وليس للفكر، وأن الإعلام هدفه تفسير المذهب الشيوعي – أو قل تزيينه وتزييف واقعه – لتذكير الشعب، بل خداعه بهذا النظام، وتعريفه بل اكراهه على استخدام الوسائل التي توصل إلى غاية الماركسيين المجهولة مع تزويد الشعب بالأخبار التي لابدّ منها[1] .

---

(١) انظر. د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٩٢ – ٩٣

وكذلك من أجل قيام الصحافة والإعلام عامة بدور فعّال في المجتمع السوفيتي والنظر إليه على أنه جهاز رسمي من أجهزة الدولة... وفي هذا يقول لينين :

«لابدّ للجريدة من أن تكون جهازاً من أجهزة الجهاد والكفاح بحيث لاتمدّ القارىء بأخبار دقيقة وصادقة عن اقتصادنا فحسب، بل يقصد الإعلام كذلك تحليل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية، لكي تصل في نهاية الأمر إلى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية».

بل أن لينين وضع تعريفاً مقيداً للجريدة قال فيه :

«الجريدة ليست أداة من أدوات الدعاية الجماعية أو الاثارة، بقدر ما هي أداة للتنظيم الاجتماعي».

وبهذا تعتبر الصحافة السوفيتية أن الاثارة العقلية أهم وأنجح من الاثارة العاطفية، وأن الأولى أنسب وأليق بالأمم المتقدمة من الثانية.[1].

مما تقدم يظهر جلياً أن النظرية الإعلامية الشيوعية لا تزال تستغفل العالم بما تدعيه وتنشره وتبثه من خلال الصحافة وبقية وسائل الإعلام، منطلقة من فلسفتها ومعتقداتها المادية وفلسفتها في تفسير التأريخ والوقائع والأحداث معتمدة بهذا على الشعارات البراقة. وأساليب الكذب العلمي – الذي يدعوه – وعمليات «غسيل المخ» ضمن استراتيجية إعلامية ثابتة، معلقة على هذا أهدافاً كبيرة في

---

(١) انظر. د. عبداللطيف حمزة. الإعلام والدعاية ص ١٢٨

خداع الجماهير وتضليلها... ووفق هذا النظام الماركسي لابدّ للإنسان أن يعرف ويفهم ويدرك أنه حر، وفق الحرية الشيوعية وفي مضمونها، كما أن عليه أن ينكر ذاته وأن يعلم بأن مصالحه وآماله لابدّ أن تذوب وتتلاشى في بوتقة مصلحة المجتمع العامة، وأن أساس التطبيق الحر ومرجع التفكير الحر هو الموافقة والملائمة مع النظرية الشيوعية التي يرسمها ويحددها كل من ماركس ولينين.

خـلاصـــــة :

لعله من المناسب بيان هذه الكلمة المستخلصة والموجزة التي تمثل واقع الحال في الغالب، قبل أن نتكلم عن اتجاه أو موقف الإسلام من النظريات الإعلامية المعاصرة وفلسفاتها ثم مذهب الإسلام في الإعلام.

إن الصحف في أية بقعة من بقاع العالم الحديث لا تستمتع بحريتها الكاملة في نقد الحكومة أو المجتمع، وإنْ كانت الحرية الصحفية في الدول الرأسمالية أظهر منها في الدول الاشتراكية الشيوعية نوعاً ما.

ينصح «هارولد لاسكي» فيلسوف حزب العمل البريطاني، ينصح طلبة الصحافة في مقدمة كتابه «الصحافة والشؤون العالمية» بالنصائح الأربع التالية :

١ ــ يجب عليكم أن تدركوا تمام الادراك أنه لا توجد حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التي تخدم مصالحها.

٢ ــ يجب أن تدركوا كذلك أن هناك هيئات كثيرة تعمل في جمع

الأنباء وتحاول تلوين بعضها باللون الذي تمليه عليها الأهواء والأغراض والتحيزات ونحو ذلك.

٣ ــ يجب أن تدركوا كذلك أن المراسل الخارجي، وهو رجل له وزنه الخاص للأمور، كثيراً ما تضطره الظروف إلى تلوين الأخبار التي يبعث بها إلى صحيفته وتحريفها كذلك.

٤ ــ يجب عليكم أن تدركوا تماماً أن هيئة التحرير في كل صحيفة بحجة السياسة التي تتميز بها عن بعض الصحف الأخرى تقوم باختيار الأخبار على أساس الهوى والغرض، ثم تقوم بتحرير هذه الأخبار بطريقة تتفق وهذه السياسة.

يدل هذا كله على أن الحرية الصحفية لا وجود لها في الوقت الحاضر، ولو صح أو فُرض وجودها في صحافة اليوم، فإنها تكون مهددة بأخطار كثيرة، منها ما يأتي من جانب الحكومة ومنها ما يأتي من جانب الصحف ذاتها[1].

فلسفة النظريات الإعلامية في ضوء الإسلام :

اتجاه الإســـلام :

إذا ما وضعنا مذهب الإسلام وتوجيهاته في إطار كالإطار النظري للمذاهب والاتجاهات الأخرى فالواجب العلمي يقتضي النظر في تلك المذاهب والاتجاهات، كما يحتم علينا إعادة تنظير تلك المذاهب

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩ - ٩٠

والاتجاهات للأسباب التالية :

أولاً : عدم وضوح مفهوم الحرية في أذهان المنظرين والمصنفين للنظريات الإعلامية :

فالحرية ليست الخروج من نظام وقواعد الإنسانية، وليست التمرد على قوانين وشرائع الأخلاق الاجتماعية كما يراها أعداء الإسلام، على الأقل في مفهوم الإسلام وفي ضوء العلم الحقيقي.

وإذا كانت الحرية تعني الانطلاق فهي كذلك بشروط، وهذه الشروط هي :

١ ــ عدم تجاوز القواعد اللازمة لتحقيق الإنسانية.

٢ ــ الالتزام بالقوانين الضرورية لصلاح الأخلاق والشرائع.

٣ ــ التمييز بالسلوك الحر عن سلوك الحيوانات والبهائم.

فإذا أردنا أن نبحث عن سر هذه الشروط للحرية، فعلينا أن نفهم أن هناك مفهومين آخرين يقابلان هذه الحرية، هما : الفوضى والعبودية، ولكي نميز الفوضى عن الحرية، لا نستطيع أن نغفل شيئاً هاماً، هو أن الوجود كله محكوم بقواعد وسنن وقوانين إلٰهية، كل المخلوقات في إطارها لا يمكنها أن تخرج عنها أو تفلت منها – فيما عدا الإنسان – فقد ترك له جانب من حياته يتحكم فيه هو بارادته، ولكي يكون حراً فحريته بالتزام سنن الله وقوانينه، ولكي يكون عبداً أوفوضوياً فعليه أن يلتزم بشرائع العباد وقواعد النظم الوضعية، أو يتمرد على كل نظام، شأنه شأن بقية الكائنات، فهي حرة طالما كانت ملزمة بقوانين وسنن الكون الالٰهية، تطير مع الرياح وتنجذب مع الجاذبية، وهي غير ذلك إذا ألزمها غير الخالق بوضع

مخالف، فمن أراد الحرية الحقيقية اختار أن يكون عبداً لله وحده، لأنه لا خيار للإنسان إلا أن يكون عبداً لغيره، أو حيواناً مطلق العنان بلا قانون ولا نظام.

وكل من يخضع لتشريعات ونظم من وضع البشر، فقد اختار العبودية لغير الله، فلا يسمى حراً وإن جاءت القوانين البشرية مطلقة لغرائزه، مشرعة لحيوانيته يمارسها كيفما شاء، فلا يسمى هؤلاء أحراراً، إنما يسمون أنعاماً أو خنازيراً أو كلاباً.

فمفهوم «الحرية في الإسلام» غيره لدى فلاسفة النظم الأخرى، وهو يعني اطلاق العنان للإنسانية في الإنسان، كما يعني اطلاق العنان للعقل باعتباره المميز لهذا المخلوق عما سواه من سائر الكائنات، وفي سبيل تحقيق حرية هذا شأنها، لابدّ من ضبط الغرائز وتنظيم الشهوات، وهذا ما يقوم به الإسلام حين يحرر عقل الإنسان من العبودية لغير الله. فلا يرضى بشرع غير شرع خالقه، وحين يحرم على الغرائز ممارسة أهوائها وشهواتها، فلا تنزع إلى الحيوانية، ولا تضل بالإنسان عن طريق الإنسانية الحقيقة.

والسبب الثاني الذي يستوجب فيه إعادة تنظير المذاهب والاتجاهات، هو مفهوم التسلط ومفهوم الالتزام ومفهوم المسئولية الاجتماعية. فبناءً على فهم الحرية فهما خاطئاً، لابدَّ أن ينسحب هذا الخطأ على هذه المفاهيم، فقد يعني فيلسوف الغرب وتابعه أن ضبط الغرائز الحيوانية نوع من التسلط والدكتاتورية، وقد يعني منظّر الشرق أن الالزام بغير الماركسية نوع من الخيال وخروج على العلم، وقد يعني مصنف المسئولية الاجتماعية، أن المجتمع هو صاحب تشريع الرذيلة والفضيلة،

وهو الأحق بالحكم على تحريم هذا واباحة ذاك، فلا يكون شرع الله في نظره مسئولية، ولا يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متمدناً، وقد يعني الصهيوني كل تصرف حر في الحقيقة عداء للسامية... الخ[1]

لهذا فمن الضروري إعادة تصنيف وتسمية النظريات بمسمياتها الحقيقية كما يقول بذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» :

«لهذا يجب على علماء الإسلام أن يعيدوا تنظير وتصنيف النظريات الإعلامية تصنيفاً يتفق مع فهمهم هم للحرية وللفوضى وللعبودية وللتسلط وللمسئولية الاجتماعية. وذلك على النحو التالي :

١ ــ نظرية الفوضى الحيوانية :

جرى تسمية الانفلات الحيواني في الدول التي أراد لها اليهود أن تكون كذلك بالحرية، والصحيح أن تسمى الأشياء بمسمياتها، خصوصاً وأن الأرهاب الفكري يسود هذه الدول ويسيطر عليها سيطرة كاملة، وهذا يعني أن العقل لم يتحرر، إنما الذي تحرر الشهوات والغرائز والأهواء، لهذا فإن الاسم العلمي لنظرية الحرية المدعاة، والسائدة في أوربا وأمريكيا واتباعهما، هو «نظرية الفوضى الحيوانية».

وأويد الدكتور عمارة نجيب في هذه التسمية، إنها فوضى

---

(١) أنظر الدكتور عمارة نجيب، الاعلام في ضوء الاسلام صـ ٦٦-٦٧

في كل شيء، فوضى في الأمور الاقتصادية، وفوضى في الأمور السياسية والثقافية والتعليمية، وفوضى وحيوانية في العلاقات الاجتماعية والأخلاقية، وفوضى وحيوانية في السياسة الإعلامية.

٢ ــ نظرية العبودية والاسترقاق :

إذا كان للتسلط معنى غير الضغط والاكراه على أي نحو يكون هذا الضغط والاكراه، فإن هذا المعنى في نظر المسلمين ليس هو اكراه الناس على طريق الحق واطرهم عليه أطراً، لأن طريق الحق وإن أُخذ الناس إليه بالقوة والضغط والاكراه، فإن هذا – في نظرنا – لا يمثل اعتداءً على حرية الإنسان، إلا إذا اكره العقل ذاته، وأجبر على التسليم بما لم يقتنع به، وهذا ما لا يفعله الإسلام، أما إجبار الغرائز والشهوات واستعمال القوة معها لصالح العقل، فلا يسمى تسلطاً – في نظرنا وفي ضوء العلم والحقيقة – ولهذا يجب أن تسمى نظرية التسلط «بنظرية العبودية والاسترقاق»، لتشمل كل الدول التي يحكمها قانون وضعي، وتديرها عصابة من البشر، كما هو الشأن في البلاد النائمة التي يسمونها بالنامية، ومنها معظم الأقطار العربية الإسلامية.

وليخرج الحكم القوي الشديد، ولكن بشرع الله الموجه ضد الحيوانية في الإنسان، وضد الشهوات والأهواء والرغبات الفردية الأنانية عن هذا التعريف... إذ أن شريعة الله – كما هو معروف – لم تقسم الناس إلى طبقات، ولا كيان الإنسان إلى قوى مختلفة ومتصارعة، كما قسمها فلاسفة هذا المذهب التسلطي، كما أن الشريعة لم تمنح عقل الإنسان حق التحكم في القوى الشهوانية في جسمه،

والطبقة الحاكمة حق احتكار الصواب، كما منحها أصحاب هذه النظرية.

٣ ــ النظرية الآلية أو الميكانيكية :

وهنالك النظام الذي يعتبر الإنسان مجرد مسمار في آلة، أو ماكنة تسمى بالمجتمع، وكلاهما – المسمار والماكنة أو الآلة – يديرها نظام الحزب الواحد الذي يضع نفسه موضع الرب في كل شيء، فهو المانع وهو المعطي، وهو مصدر الثواب ومصدر العقاب، وهو الأحق بالطاعة والولاء بالاكراه، وهو المتصرف في حياة الأفراد والجماعات، وهو مالك كل شيء، وهو المشرع وهو المطّلع على أسرار الناس بعيون لا عدّ لها من الجواسيس والعملاء والرصد.

ذلك هو النظام الاشتراكي بكل صوره وأشكاله.

نظام دكتاتورية الحزب الواحد المتمثل بالشيوعيين والبعثيين، وغيرهما من المرتبطين بالغرب أو الشرق، ابتداء من الإتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية وانتهاء ببعض أقطار عالمنا العربي الإسلامي.

وإذا سميت هذه النظرية بنظرية الالتزام الشيوعية، فهذا نوع من التزوير والتزييف، لأن الالتزام فيه جزء من الارادة، وفيه احساس بشيء من الحرية، وهذا وذاك من الممنوعات التي لا تتفق مع واقع هذا النظام الخطير.

٤ ــ نظرية المد والجزر أو النظرية المطاطة :

إن ما يسمى بالمسئولية الاجتماعية نوع من المطاط السياسي، يمتد فيعطي الحكام حق السيطرة والاستعباد والاذلال لجميع الكتاب

والناشرين والمتحدثين بإسم المصلحة العامة والمسئولية الاجتماعية.

وينكمش فيضع على عاتق الناشرين والكتاب والمتحدثين واجب تقديس الراقصات وتزيين الرذائل والموبقات بدعوى عدم مساس هذه الأشياء بحقوق المجتمع، مع واجب احترام مشاعر المغني والمغنية والمومس والداعرة وغير هؤلاء وأولئك من الطبقات المنحلة والمتاجرة بالأعراض والمخدرات ومنهم اليهود[1]

وهذه النظرية ماهي إلا بديل صهيوني جديد نُظّم باتقان ومكر ليحل محل الحرية ... كما يقرر ذلك الدكتور عمارة نجيب في كتابه.. الإعلام في ضوء الإسلام حيث يقول :

«وهذا يعني أن نظرية المسئولية الاجتماعية بديل صهيوني جديد أعد بحذق ودهاء ليحل محل الحرية التي بدأت تفهم على أنها حق المواطن في نشر وإذاعة جرائم اليهود، والإعلان عن جمعياتهم السرية ومخططاتهم اللاإنسانية، كما يعني أنها قد تحل محل نظريات التسلط والالتزام والحرية في الوقت المناسب، بعد انفجار البلاد المحكومة بالحديد والنار، أو بعد تحلل الأحزاب لتخدم أهداف اليهود أيضاً في قمع كل معارضة ضدهم باسم المسئولية الاجتماعة ولتعطيهم هم حقوقاً وامتيازات باسم المصلحة والنمو الاجتماعي وهكذا.

وعليه فلا نرى في عملية تصنيف وتنظير النظريات الإعلامية إلا الايحاء والايهام بأنه لا مفر من الدوران في الفلك الصهيوني، والعمل في رحاب النظم التي وضعت باسم العلم، والعلم منها براء،

---

(١) المصدر السابق ص ٦٨ - ٦٩

براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب»[1] ... وهكذا يجب أن تسمى الأشياء بمسمياتها التي تستحقها.

«والمؤلف» يناصر ما ذهب إليه الدكتور عمارة في تسمية هذه النظريات، التي لم يجد «المؤلف» لها في كتب الإعلام مثل هذه التسمية، ولنبتعد عن الزيف والهراء والتضليل، ولنتمسك بالإسلام لأنه يغنينا عن كل شيء زائف وباطل.

«والحق أن الإسلام يغنينا عن هذا الهراء الذي لبس ثوب العلم، حين يكشف لنا عن زيف كل ما عداه، ويعرى لنا ضلال كل النظم والاتجاهات الوضعية، باعتبارها قصيرة النظر قليلة الحيلة فيما يتصل بشئون النفس والاجتماع، فلا يعلم بالنفس إلا خالقها ولا يحيط بنظام الاجتماع إلا القادر الخبير المدرك للعالم في ماضيه وحاضره ومستقبله»[2]

المذهب الإسلامي في الإعلام :

إن الإسلام شرع من الله الخالق الحكيم أوصى به لخير البشرية جمعاء، صالح لكل زمان ومكان، يتصف بالشمولية، أي أن توجيهاته تعالى تشمل جميع أمور الحياة صغيرها وكبيرها، تسليماً بقدرته تعالى على إدارة شئون مخلوقاته، وبإنه وحده صاحب الحق في وضع قواعد وأسس وأركان هذه الإدارة.

ومسؤولية علماء المسلمين هنا تنحصر في استخراج هذه

---

(١) الصفحة ٦٩

(٢) نفس المصدر ص ٧٠

القواعد واستنباط هذه الأسس والأركان، لكل أمر من أمور الحياة المتشعبة وفق مبادىء الشرع الحنيف.

فمن هنا لا تنطبق كلمة نظرية وتنظير وتصنيف على الإسلام. إذا عنيت وجهة النظر الإنسانية أو إذا قصد منها وجود فلسفة البشر لها أو اجتهادهم في صنعها. [لأن الإسلام حقيقة وليس نظرية قابلة للخطأ والصواب].

أما إذا قصد بالنظرية مجرد التصنيف الذي هو الاجتهاد في القياس والمقارنة والتسمية مثلاً أمكن هذا بتجوز. [ومن باب المقابلة بتسمية النظريات]. ثم إذا أردنا قياس مذهب الإسلام بالحرية، وجدناه هو الحرية الحقيقية المطلقة، وعليه يمكن أن يقال عن مذهبه «مذهب الحرية» وعن نظامه «نظام العدل المطلق» لا على أساس عاطفي، ولا من منطلق التعصب والجدل الأحمقين، بل وفق منهج علمي تجريبي، ومن منطلق العقل الواعي الناضج المثقف.

فحروب الإسلام لتحرير العقل، كما صوّر ذلك ربعي بن عامر. رسول المسلمين إلى «يزدجر» ملك الفرس، بقوله له :

«جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»

ونظامه السياسي الحارس والحامي لهذه الحرية التي يولد الإنسان عليها، كما عبّر عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته لعمرو بن العاص والي مصر، حين اعتدى أبنه على أحد العامة وأفتخر بآبائه، قائلاً له «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»[1]

(١) أنظر المصدر السابق ص ٧٠-٧١

فالإسلام بكل مبادئه وتشريعاته يقيم الحرية الحقيقية، ويدافع عنها ويحميها... والواجب هنا يقتضي تسليط المزيد من الضوء الصحفي والإعلامي على تلك المبادىء وتزينها وتجميلها وتحبيبها لنفوس الناس، وحثهم على التمسك بها.

أسباب الاهتمام بتطبيق مناهج البحث الحديثة في مجال الإعلام :

لقد أجريت في السنوات الماضية كثير من الدراسات التي تهدف إلى معرفة كيف يمكن التأثير على عقول البشر وكسب صداقات الأمم.. كما ذكرت ذلك جيهان رشتي في كتابها «الأسس العلمية لنظريات الإعلام»[1] ... وأنه قد حاول كتاب «نظريات الإعلام الأربع» الذي صدر سنة ١٩٥٦ م، أن يصنف تحت أربع نظريات أغلب نظم الاتصال الموجودة في العالم.

وتبين رشتي كيف تناول هذا الكتاب شرح الأساليب التي تعمل بمقتضاها وسائل الإعلام في مختلف الأنظمة السياسية، وتذكر مثالاً لدراسات أخرى تركز على تأثير التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي على الإعلام ودوره المؤثر على هذه المجالات، والصلة المباشرة بين هذه المجالات وبين الآثار التي تنعكس على مختلف الأنظمة الإعلامية.

كما تعلل ازدياد الاهتمام بتطبيق مناهج البحث الحديثة في مجال الإعلام خلال الأربعين عاماً الماضية لأسباب عدّة، منها :

١ ــ ازدياد اهتمام الهيئات الحكومية بالدعاية خلال الحربين العالميتين

---

(١) الطبعة الثانية ص ٤٠ ومابعدها

الأولى والثانية، وقد أدى هذا الاهتمام إلى دراسة طرق التأثير على الرأي العام، كما ساعد على تطوير مناهج البحث الحديثة وتطبيقها على نطاق واسع لقياس التأثير، وقد استمر اهتمام الحكومة الأمريكية بأبحاث الاتصال بعد الحرب، فقامت وزارة الزراعة وعلماء الإعلام الريفي بعمل دراسات خاصة عن أنماط تبني الأفكار الجديدة والمنتجات الجديدة بين الجماعات القروية، كما اهتمت نفس الوزراة بعمل دراسات عن التسويق والإعلان.

٢ ــ قيام نظم سياسية تقوم على السيطرة في الإتحاد السوفيتي وإيطاليا وألمانيا ودول أخرى، واستخدام الحكومات لوسائل الإعلام لزيادة نفوذها في الداخل والدعاية في الخارج، مما جعل الجماهير في المجتمعات الغربية تشعر بالخوف من تأثير الدعاية.

٣ ــ تركز ملكية وسائل الإعلام في أيدي أقلية في الولايات المتحدة الأمريكية، واختفاء الصحف المتنافسة في غالبية المدن الأمريكية، وامتداد ظاهرة الاحتكار إلى ميدان الإذاعة والتلفاز، مما زاد من قلق المصلحين الاجتماعيين والمشرعين من تأثير احتكار أقلية لوسائل التوجيه والإعلام، خاصة الوسائل الجديدة التي تطورت بسرعة.

٤ ــ قيام المنافسة بين المذياع «الراديو» والتلفاز وبين وسائل الإعلام القديمة للحصول على أكبر دخل من الإعلام، كانت هذه المنافسة من أهم الأسباب في ازدياد الاهتمام بتطبيق الأساليب العلمية الحديثة.

فالمذياع «الراديو» لم يكن له شباك تذاكر مثل السينما أو أرقام للتوزيع مثل الصحف، لهذا اضطر المسؤولون عن المحطات الإذاعية إلى استخدام الأساليب الاستقصائية المطبقة في مجال العلوم الاجتماعية، ليقدموا للمعلنين معلومات دقيقة عن المستمعين.

ومن المعروف أن السينما من وسائل الإعلام المكلفة والمؤثرة. لذلك كان من الضروري قياس تأثيرها، خاصة وأن دراسة ذلك التأثير كان سهلاً، لأن جمهور السينما موجود عادة في مكان محدد، في حين يكون جمهور الصحف والمذياع والتلفاز موزعاً على مناطق شاسعة.

٥ ــ الاهتمام بدارسة التأثير السياسي لوسائل الإعلام، وبشكل خاص أثناء حملات انتخاب الرئاسة الأمريكية، وقد أدى هذا إلى اكتشاف حقائق جديدة عن الدور الذي يلعبه الاتصال الشخصي في المجتمعات المتقدمة، كما أدى إلى وضوح أهمية الدور الذي تلعبه الجماعة في التأثير على أعضائها، كذلك أجريت دراسات على الاشاعات، وخصائص الرسائل الإعلامية، وتولت الهيئات الأكاديمية، مثل مركز الدراسات الاجتماعية التطبيقية بجامعة كولومبيا، ومؤسسات الأبحاث الإعلامية في جامعات بيسل وستانفورد والينول مسؤولية إجراء تلك الأبحاث وتطويرها.

لا ريب فالضرورة الإعلامية في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ستظل قائمة على الدوام.. ولذلك أصبح

الإعلام علماً قائماً بذاته له قواعده ومدارسه ونظرياته وتقنياته أيضاً.. وذلك لأهمية الدور الذي تلعبه وسائله المختلفة في التوجيه والتأثير والتثقيف... ولهذا فلا غرابة من بروز مدارس أو مراكز تختص بأبحاث الإعلام، هذا العلم الذي لا يستطيع أي جهاز سياسي أو ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي إذ ما أراد تحقيق غاياته، الاستغناء عنه أو التحرك بدونه... ولا ريب فإن المسألة تختلف بالنسبة للغايات والمقاصد وأساليب تحقيقها بين التشريعات والنظم الوضعية والشريعة الإسلامية..[1] ففي حين لا تهتم النظم التي هي من صنع البشر بالغايات الشريفة المحققة للعدل والحق ومصلحة الإنسان ولا حتى بأساليب تحقيق تلك الغايات في أبحاثها ودراساتها الزائفة والمضللة... يحرص الإسلام الحنيف الذي هو من صنع خالق البشر في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها على أن تكون الغايات محققة للحق والعدل ومصلحة الإنسان متبعة كل الأساليب الشريفة والصحيحة في أبحاثها ودراساتها في كل المجالات.. ومنها مجال الإعلام، ولذلك ظهرت محاولات ابعاده عن هذه الأبحاث بشتى الوسائل والادعاءات... فكان من نتائج غيابه عن ساحة البحث والدراسة ماسيأتي :

نتائج غياب الإسلام عن دراسات أبحاث الإعلام :

نتيجة لاقصاء وابعاد الإسلام عن ميدان الدراسات والأبحاث

---

(١) هذه «الشريعة» تتصف بالاستمرارية والقابلية للتطبيق والصلاحية لكل زمان ومكان، حيث تتوافق وخصائص وطباع الإنسان، وتحقق ذاتيته وأمنه.. وتجمع بين المثالية في أحكامها ونصوصها وبين الواقعية في تطبيقها.. في خالدة خلود البشرية لأن أساسها حبل الله المتين.

الخاصة بمجال الإعلام. فقد تهيئت الفرص لادعاءات شتى، كلها تخدم أفكار ومذاهب أعداء الإسلام من علمانية وصليبية ويهودية، هذا ما يوضحه الدكتور عمارة نجيب في كتابه «الاعلام في ضوء الاسلام» حيث يقول :

لقد كانت محاولات ابعاد الإسلام وغيابه عن ميدان الدراسات والأبحاث الإعلامية فرصة لادعاءات مختلفة تخدم أفكاراً علمانية – يهودية وصليبية – وأبرزها فصل الدين عن الحياة وعن إدارة أمورها وسياستها، كما تخدم خطط التحلل والاباحية باسم الحرية والتمدن، فضلاً عن خدمتها لخطط التسليم بعلمية مفاهيم ونظريات وأبحاث هذه الميادين. بدعوى البحث العلمي والمنهج العلمي .

ولو صح اعتماد المنهج العلمي الصحيح والأخذ به كأساس لعلوم النفس والاجتماع الإنساني لصلتها بأساليب الاتصال والأبحاث الإعلامية، لوجدنا الإسلام على رأس المسلمات البدهية بل العلمية، لكونه من لدن العالم الوحيد بغيبيات هذه الأمور، ولأنه الحقيقة التي تصمد وتثبت أمام أعمال المنهج الصحيح للبحث والدراسة[1].

وكان من نتيجة غياب أو تغييب الإسلام وابعاده عن ميادين البحث، واهمال الكثير من اهتمامات ودراسات المخلصين من أبنائه في هذا الميدان وغيره، أن دخل في البحوث والدراسات الإعلامية وغيرها الكثير من الزيف والخداع والتضليل والكذب. وطغت على ما تحتاجه البشرية من الحقائق والصدق والهداية.

إن الإسلام قد جاء بقواعد وأسس كل العلوم المتصلة بالنفس

(١) انظر. ص ٨١

والاجتماع، وهو وحده الذي يضمن علمية هذه القواعد وعلمية نتائجها ومنها علم الإعلام.

مرجع تقسيم النظريات إلى أربع، وموقف الإسلام منه :

يكفينا هنا الاطلاع على مراجع ومستندات المصنفين لنظريات الإعلام وسنرى مدى اغفال الإسلام كمرجع علمي، في حين كان الإسلام هو المحرك والموجه لأوربا كلها نحو العلم وتحرير الفكر من الخرافات والأوهام، وتحرير الإنسان من عبودية رجال الكنيسة ومن سلطة الحكام الذين يستمدون سلطانهم من سلطة رجال الكنيسة.

لقد قرّر سيد قطب – رحمه الله – في كتابه «هذا الدين»[1] – حين قال :

«إن حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر. كالفن في أوربا، وحركة الاحياء التي تقتات منها أوربا حتى اليوم، وحركة تحطيم النظام الاقطاعي في أوربا، والانطلاق من حكم الأشراف، وحركة المساواة وإعلان حقوق الإنسان التي تجلت في «الماجناكارتا» في إنجلترا، والثورة الفرنسية في فرنسا، وحركة المذهب التجريبي التي قام عليها مجد أوربا العلمي وأنبعثت منها الفتوحات العلمية الهائلة في العصر الحديث، وأمثالها من الحركات الكبرى التي يحسبها الناس أصولا في التطور التأريخي... كلها قد أُستمدت من ذلك المد الإسلامي الكبير وتأثرت به تأثراً أساسيا عميقاً».

---

(١) طبعة / دار الشروق – ص ٦٧.

إن رجال الإعلام يرجعون مستند تقسيم النظريات إلى أربع، إلى الاستقراء الذي انتهى إلى تقرير مايلي :

«الحكم والحاكم أو السلطة والسلطان».

أما أنهما يقومان على فكرة اطلاق يد الحاكم وحصر السلطة في يده، بحيث لا يسمح لقوة أخرى أن تشاركه في الرأي أو في الحكم مهما كانت، وأما أن يكونا – أي الحكم والحاكم – متحررين يقومان على فكرة بسط الحبل للشعب واشراكه في الحكم وفي الرأي، أو التنازل عنهما للشعب، وأما أن يكونا واقعين بين هاتين الفكرتين... فيقتربا من النظام الأول وهو القائم على فكرة اطلاق يد الحاكم وحصر السلطة في يده. أو يقتربا من النظام الثاني : وهو القائم على فكرة بسط الحبل للشعب والتنازل له عن السلطة أو بعضها.

وقد وصف الاستقراء بهذا الشكل بصفة العلمية، وادعى أنه بذلك قد شمل جميع النظم الحاكمة قديماً وحديثاً.

ربما يعتبر هذا صحيحاً من الناحية الشكلية. لكن إذا وضعنا تصنيف نظام الإسلام ضمن هذه الأشكال الأربعة، نكون قد وقعنا في مشكلة هي :

هل يدخل ضمن فكرة اطلاق يد الحاكم وحصر السلطة في يده باعتبار الواقع؟

وما هو الرأي لو كان فاهماً لما جاء به الشرع؟ وراح يطبقه بشدة يصفها عمر رضي الله عنه بقوله «لأطرنكم على الحق أطراً» وحينئذ يكون متهماً من وجهة النظر المصنفة لهذه النظريات والآخذة

بها، أم يدخل ضمن فكرة اطلاق الحبل للشعب باعتباره تحريراً للإنسان من سلطة السلاطين وحكم الحاكمين، لأن الحكم والسلطان لله وحده وكل ما في قدرة الحاكم هو تنفيذ حكم الله وشرعه.

فعندها يكون دور الشعب في التشريع مختصراً أو يزول تقريباً... وفي كل الأحوال يصبح النظام متهماً من المصنفين، بالكبت والتضيق والضغط.

أما إذا وضعنا نظام الإسلام ضمن نظرية من النظريتين البينيتين، كالنظرية الشيوعية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية. لوجدنا مخالفة الأولى للإسلام تماماً ومن كل الجوانب النظرية والعلمية. ولوجدنا في الثانية بأن المسؤولية في الإسلام ليست مسؤولية أمام المجتمع، وإلا حقَّ لأي سياسي أن يفعل ما يخالف الإسلام استجابة للرأي العام، أي للمجتمع.

وهذا ما يرفضه الإسلام تماماً، فالمسؤولية أمام الله، هي مسؤولية شرعية ودينية وليست اجتماعية بهذا المفهوم التصنيفي.

وعليه فإن الاستقراء لو كان علمياً حقاً. لأضاف نظرية خامسة وسماها نظام الإسلام. لأنه نظام يحرر الإنسان بحق في إطار من السلطة الشرعية القوية، التي لا تطلق يد الحاكم بمفهوم نظرية التسلط، ولا تطلق يد الشعب بمفهوم نظرية الحرية.

كما أنها لا تلزم الشعب قهراً واكراهاً وظلماً بمفهوم الشيوعية. ولا تلزمه تساهلاً وهوناً بدعوى المسؤولية الاجتماعية.

إنما تحرره من أهوائه وشهواته، وتطلق العنان لعقله كي يفكر بحرية كاملة، وينتج ويتقدم بعزة وكرامة.

ولهذا فإن محاولة حشر الإسلام ضمن إحدى النظريات – ولو كانت نظرية الحرية – خطأ كبير وافتراء، لأن الحرية عند مصنفي النظريات والآخذين بها تعني شيئاً آخر غير الحرية الحقيقية[1]... تعني الحرية المطلقة، المتحررة من الضوابط والروابط في عالم عدواني، ترى الإنسان بقدره وجلاله وقد أصبح ازهاق روحه لا يكلف شيئاً، فيرمى في الشارع قتيلاً مجندلاً يسبح في دمائه من أجل مال كان يحمله أو حقد وبغض يحمله قاتله... أو ترى أمرأة عارية متبرجة بين أحضان الرجال، تمارس شهواتها بكل حيوانية... أو .. أو.

ولو بحثت عن الأسباب والدوافع الحقيقية وراء تلك الجريمة الحمقاء أو ذلك المنكر القبيح لوجدت أن الحرية المطلقة على رأس الأسباب في ارتكاب هذه الجريمة وذلك المنكر... الفاسقون والفاسقات يرتكبون المعاصي ويعيثون في الأرض الفساد، بهوى من الحرية المطلقة الفوضوية. الخراب يعم البلدان ويسلب حق الضعيف وتستباح محارمه وتهان كرامته على ضوء الحرية التي يتغني بها أعداء الإسلام.. وما أكثر الشواهد والآثار الباقية – حتى يومنا هذا – في عالم الغرب الصليبي والشرق الملحد، بل حتى في عالمنا العربي الإسلامي، كل هذا لأنها بعيدة عن الحرية الحقيقية الملتزمة والمنضبطة وفق مبادىء ديننا الحنيف ومنهجه في القرآن والسنة.

مما سبق يتضح أن عامل الحرية هو العامل الأساسي في بلورة النظريات الإعلامية الأربع، وكما تقدم بينتُ نظرة أو مفهوم كل

---

(١) انظر. د عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام ص ٨١ – ٨٤

منها لهذا العامل، أما في الإسلام، أو في النظرية الإسلامية للإعلام فإن مفهوم الحرية يرتبط أساساً بثلاثة عوامل :[1]

١ ــ العبودية لله سبحانه وتعالى.

٢ ــ الحرية الذاتية للفرد.

٣ ــ مسؤولية الفرد تجاه المجتمع.

لذلك فإن الإنسان في المفهوم الإسلامي حر حرية ذاتية مستقلة، ولكنه في ذات الوقت مكلف بخلافة الله في الأرض، ومسؤول مسؤولية اجتماعية، وبذلك يوائم الإسلام بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع في عقد واحد، ويحقق التوازن المفقود في النظرتين العالميتين الرأسمالية والشيوعية.

إن الإسلام يقدم للعالم مفهوم «الحرية المسؤولة الملتزمة» وهو مفهوم الوسط كالأمة الوسط حقيقة هذه الأمة.

مقياس الإسلام :

يظهر – مما تقدم – أن بحث هذه المسائل بعيداً عن منهج الله واعتماد مقاييسه. لا يؤدي إلا إلى تبديد جهود الباحثين فيها، واهلاك المصدقين لها، لأنهم لا يصدقون العالم الخبير المحيط بها، في حين يصدقون الجاهل العاجز عن الاحاطة بشؤونها وأسرارها، وخير شاهد على ذلك ما يعاني منه العالم اليوم، حيث الجري في كل صوب بحثاً عن السعادة والطمأنينة والأمن والاستقرار.

---

(١) مجلة المجتمع. العدد ٤٢٩ تاريخ ٢٤ صفر ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٣ يناير ١٩٧٩م ص ٣٠

بينما ذهب المسلمون الحقيقيون بالسعادة كلها، لأنهم عرفوا كيف يوفرون لأنفسهم ولمجتمعهم راحة النفس وطمأنينة القلب، واستقرار الوجدان والشرف والتقدم على ضوء منهج القرآن والسنة.

حيث وصلوا إلى النظام الذي يحقق لكل فرد ذاتيته المستقلة السعيدة المكرمة، وللمجتمع ذاتيته العزيزة السعيدة المهابة.

وحيث وجدوا الكيفية التي يصونون بها كل الطاقات ويوجهونها لصالح الإنسان وسعادته ورفاهيته.

لقد تضمن القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ قواعد وأسس هذه الأمور... فلابدّ إذاً من اعتماد منهج القرآن والسنة مقياساً لكل بحث ودراسة. ولكل عمل في هذا الميدان، كما يجب ألا نغفل أبداً أن العلاقة وطيدة وعضوية بين الإعلام والدعوة الإسلامية. فلا يجوز الفصل بينهما اطلاقاً، خاصة إذا علمنا أن المذهبين أو النظامين السياسين، النظام اللبرالي – الحر – والنظام الاشتراكي – الشيوعي – لم يفصل أيٌ منهما إعلامه عن دعوته لفلسفته والترويج لمبادئه وسياسته.

فأي عمل أو أي أمر لا يستند إلى قواعد الشرع الإسلامي ولا يعتمد منهج القرآن والسنة في القياس والتقويم والملاحظة. علينا أن نرفضه ولا نقبله، من ذلك الاستجابة للرأي العام على علاته وتلبية اهتمامات الغرائز على شرها وسوئها، وكالقول بحق المتلقي في اشباع رغباته المشتاقة إلى الرقص والغناء والموسيقى.

ومثل الاعتقاد أن التقدم رهن بخروج المرأة واحتكاكها بالرجل في

كل المواقع واعطائها الحرية المطلقة. بسفورها وتبرجها وممارستها لأهوائها وشهواتها.. وغيرها من الأمور.[1]

وهكذا أخذت وسائل الإعلام المعاصرة عامة – والصحافة بالذات – ونظرياته المختلفة تتنافس وتتحارب لبث برامجها ونشر أفكارها على كل شعوب العالم، من أجل كسبها، سالكة كل سبل التشويق والترغيب لهذه البرامج والأفكار، مستخدمة كل الطاقات والامكانات غير مبالية بما يبث وينشر، إن كان ذا مضمون ومفهوم أخلاقي شريف وقيم خيّرة أو العكس. إنما كل غايتها هو الدعوة والدعم لنظام أو حاكم معين والتأييد والترويج له.

وها نحن اليوم لم نكن بعيدين عن ساحة هذا الصراع الإعلامي أو الحرب الإعلامية بين أنظمة الشرق والغرب، وما تستخدمه من فنون الأساليب لمصلحتها – لا لمصلحة الشعوب المستضعفة – المسماة اليوم – بالدول النامية – أو دول العالم الثالث، لقد أعتبر – بكل أسف – عالمنا الإسلامي، عالم الرسالات ومهد الحضارات، من الدول النامية المستغلَة.

فمع هذا الواقع المرير وما يحويه من تناقضات وسلبيات وصراعات شتى، نرى أنه لابدّ من تطويع كافة وسائل الإعلام المتطورة – والصحافة بوجه خاص – وما يمكن أن تبثه وتنشره من برامج وأفكار لخير عقيدتنا ومبادئنا الإسلامية.. ولابدّ من إعلام ذي غاية إسلامية وفق منهج القرآن والسنة.

---

(١) انظر المصدر السابق الاعلام في ضوء الاسلام ص ١٠٠ – ١٠١

أثر الاتجاهات المعاصرة في الصحافة :

هناك جملة أسباب ساعدت وتساعد الاتجاهات المعاصرة على التواجد الدائم في ساحتنا العربية الإسلامية، ولعل من أبرزها ما يلي :

١ ــ وجود الفراغ الديني : إن وجود الفراغ الديني في مجتمعنا الإسلامي المترامي الأطراف، هو أول ما يعين الاتجاهات المعاصرة – شيوعية ورأسمالية وبعثية ــ على تضليل وخداع هذا المجتمع وهذه الأمة، ويوقع الضعاف في شراكها.

ولقد ساعد هذا الفراغ مواقف بعض علماء الدين المتقوقعين في معارفهم التقليدية ورجال السياسة المنسلخين عن عقيدتهم وشريعتهم، الراكنين إلى الذين ظلموا والمداهنين لهم.

إن معظم بلاد المسلمين قد وقعت تحت سيطرة ونفوذ غزو فكري ضار ومتوحش في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية، اتخذ في هجومه المستمر من وسائل الإعلام ومضامينها، ورجالها – والصحافة على وجه التحديد – سلاحاً، وليت الأمر توقف عند حد استخدام الإعلام الموجه إلينا من أعدائنا من بلادهم، بل تجاوز الأمر هذا احياناً. واشتدت المعركة ضراوة حين شاركت وسائل الإعلام على اختلافها والقائمين عليها في بعض أقطارنا بإعلان الحرب علينا، ليكون التضليل والخداع والفتك بعقول الكثير من شبابنا وبالتالي النيل من عقيدتنا.

لقد شمل هذا الغزو الفكري الرهيب المجتمع البشري في كل بلاد العالم، لا سيما في هذا العصر، ولكن المسلمين هم أكثر الضحايا

بلاءً وهواناً وعذاباً وشقاءً. وكم حاول الباحثون من كل الاتجاهات المعاصرة وما زالوا يحاولون كشف الأسرار وراء محاولات الارهاب الفكري الذي أنتج مخلوقاً تعساً في جميع الأحوال، لا يتمكن من الاستقلال بفكره واتجاهاته وأهدافه. بل لا يستطيع أن يتحرر من هذه السيطرة الارهابية إلا إذا اصطدم بمجموع شعبه المتأثر بالمنهج والأسلوب الإعلامي ذي الاتجاه والهدف الواحد...[1] مما يكشف عن مدى ضراوة المعركة بين الحق والباطل، ويشير إلى خطورة تأثير العمل الإعلامي في هذه المعركة.

وإن شئنا مثلاً عملياً هو محط اهتمام النظريات والمضامين الإعلامية العالمية – والتي يستند كل منها إلى فكر أو مذهب اقتصادي وسياسي واجتماعي معين – ويجري بشأنه من التناقض والحيرة ما يحوله من طموح وأمل إلى شقاء ورفض ويأس، فلنأخذ مفهوم الحرية، ولننظر نتائجه في دنيا الواقع العملية...

ولنسأل أنفسنا، أي نظام في العالم لم يدع الحرص على الحرية والتمسك بها، وأي نظام في العالم حقق الحرية، وأي نظام الآن لا يعاني أهله من الشقوة والتعاسة؟ لصالح من يتم إنتاج هذه المخلوقات التعسة في العالم الحديث وفي عصر الازدهار والتقدم العلمي؟

إن المشكلة لا تبدو كامنة في التعصب لذات الاتجاه أو المذهب، كما لا تبدو في الاصطدام بالجماهير المتأثرة بالاتجاه الإعلامي السائد بقدر ما تكمن أصلاً في عدم الاقتناع – حتى الآن – بأسلوب

(١) انظر. الإعلام في ضوء الإسلام. د. عمارة نجيب ص ٢٨١ – ٢٨٢

من أساليب الأفكار والاتجاهات السائدة في العالم رغم ادعائها الاستناد إلى المنهج العلمي، لأن التناقض بين الفكرة والواقع أو بين النظرية والتطبيق سرعان ما ينكشف للعقل الإنساني، فتنهشه الحيرة وتتجاذبه الشكوك والصراعات النفسية.

وإذا كانت المشكلة في عدم الاقتناع الذي أدى إلى الحيرة والشكوك والصراعات بين الفكرة والواقع وبين الأفكار والاتجاهات السائدة، فإن الأمر الطبعي أن يتم البحث عن فكر جديد ويجري تطبيق لهذا الفكر عساه ينقذ البشرية مما تعانيه. لكن يظهر أن القيادات السياسية في العالم كله، تحاول في عصر التنوير أن توفق بين ما تريده وتتعصب له، وبين ما يكرهه أفراد المجتمع ويعانون منه.

ويبقى السر مختفياً وراء هذه المحاولات من القيادات السياسية، هل هو الرغبة في المحافظة على شرعية البقاء والوجود السياسي في مواقع القيادة والشعور بأنه التعبير ضد هذه الرغبة؟ أم هو الرغبة في فرض الاقناع وإن تم تحت شعارات مزيفة كالحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص وإزالة الفوارق بين الطبقات، أم هو اليأس من وجود نظام ينهي المشكلة ويسعد الإنسان؟[1]

٢ ــ الدعاية للاتجاه الاشتراكي في العالم الإسلامي : إن ما وصل إليه العالم العربي الإسلامي اليوم من التخبط والضياع والتذبذب والحيرة وما يعانيه من الفوضى الروحية والفكرية، وما يرسخ له من أرجاس الغزو الثقافي وما يوجه لهذه العقيدة من الضربات في

(١) د. عمارة نجيب. الإعلام في ضوء الإسلام. ص ٢٨٢ – ٢٨٣

كل المجالات ومن كل النواحي، ما هو إلا سبب ما أبتلي به من فساد وسائل الإعلام والقائمين عليها والمتحكمين بها، وأبرز هذه الوسائل الصحافة الغازية له في بيته وفي عمله، بل حتى في الشارع، وهذه الصحافة إن اهتمت بشيء من الإسلام فلم تهتم إلا بصفحات أو أعمدة في صفحات يسيرة وفي أيام الجمع والمناسبات الدينية.

إن الدعاية الشيوعية الاشتراكية في دول العالم الإسلامي تقوم على استراتيجية دقيقة ومنظمة في الدعاية، وهذه الدعاية تتطور وتتبدل بين فترة وأخرى، حسب ما تتطلبة ظروف المجتمعات. وهي في مبادئها ومضامينها قائمة على نفس المقومات التي بث سمومها كل من ماركس ولينين، سالكة طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب المنشور والكلمة المسموعة والمرئية.

يقول الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة : «إن السنوات العشر من ١٩٦٥ م إلى ١٩٧٥ م قد سجلت توسعاً هائلاً في الوسائل، وتجدداً متزايداً في المضامين أغرقت أسواق العالم بنظرياتهم، ويلجأ الشيوعيون في ذلك إلى شراء ذمم أصحاب الصحف وكتابها أو خداع القائمين عليها باستغلال ظروفهم الخاصة، وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن حوالي ٦٠٪ من إنتاج الكتب و٥٥٪ من إنتاج المجلات – وخاصة المجلات ذات الصبغة العلمية – و٤٤٪ من إنتاج الصحف. ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الإعلام وأجهزته تبدو في الحصار الذي ضُرب على كل فكر ورأي لا يتفق مع الخط الماركسي، والترحيب بكل رأي يحمل طابع الهدم لو لم يكن ماركسياً لأنه يتفق والخط الماركسي العام الذي

يستهدف أولاً تحطيم ما هو قائم، وكل رأي يستخدم قوالب التحليل الماركسي يُفسح له المجال وتفتح له الأبواب حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسياً، لأن فيه دعاية وتقديراً لأدوات التحليل الماركسي.

أما الأفكار التي تحاول تفنيد النظرية الماركسية أو التي تطرح قيماً جديدة أو تعلي من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن أن تجد سوى المحاربة والتضييق»[1]

ولكي تتم عملية الدعاية لهذا الاتجاه على أحسن وجه – دون إثارة أو بلبلة – لابدّ أن تلبسها من الثياب ما يخفي الحقيقة، فكان المحتوى أو المضمون مدروساً بعناية من الخبث والدهاء.. كما سيجيء ...

أبرز مضامين الإعلام الشيوعي الاشتراكي في البلاد الإسلامية :

(١) الحياد المصطنع بالنسبة للدين وقد حدث تحول ظاهري خادع، فبعد أن كانت الأديان في الدعوة الماركسية أفيون الشعوب أصبح يقال الآن أنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام، بدعوى أن كلاهما يسعى إلى هدف واحد، أو الادعاء بأن الإسلام ثوري.

(٢) محاولة تحييد الدين الإسلامي بابعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسي، وخاصة بعد أن انتكس هذا الغزو مؤخراً في العديد من الأقطار الإسلامية.

(٣) اتجاه الإعلام الشيوعي إلى هدم القيم الإسلامية، حيث تُلَمِّح

---

(١) أنور الجندي. هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام – ص ٣٦

كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته.

(٤) التشهير بالتعاليم الإسلامية وافراغها من مدلولاتها الحقيقية.

(٥) التبسط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها في قوالب ماركسية توحي للملاحظ العادي بسلامتها وصدقها.

(٦) تقديم السموم الاشتراكية في أشكال براقة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول في قوالب جاهزة تفرض على العقل المادي سلطانها، وقد ركب الشيوعيون كل تيار يؤدي إلى خدمة أغراضهم حتى ولو كان مصادماً لجوهرها، فركبوا تيار القومية وأداروه لحسابهم، وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية.

(٧) المحاولات التي بذلها رواد الإعلام الشيوعي بقصد الحيلولة دون تعرض إنسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل إلى حقيقة التجارب الشيوعية في بعض هذه الدول.

لقد أصبح الإعلام الشيوعي قوة مؤثرة في صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية في العالم، حيث بلغ مجموع إنتاج الكتب – كما أحصاها الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة – «٣,٧» ملايين كتاب يومياً أو ما يوازي ربع إنتاج العالم «وبما يساوي ٢٥٠٠» نسخة في الدقيقة. وإن مؤلفات لينين التي تحتل المركز الأول من المؤلفات الشيوعية قد بلغت «٣٣٠» مليون نسخة صدرت بحوالي «٩٨» لغة من لغات

شعوب السوفيت إلى عشرات الملايين من الترجمات باللغات الحية. زد على هذا الأفلام السينمائية والإذاعية.

كل هذا أسهم وبشكل كبير في صياغة العقول والسيطرة عليها في مواجهة تذبذب فكري مجرد من سلاح العقيدة، موجود في أعظم بلاد العالم الإسلامي.

إن هذه المخططات وغيرها كانت تستهدف الإسلام باعتباره الصخرة القوية التي تتحطم عليها رؤوسهم. بل تستهدف تذويب الفكر الإسلامي في بوتقة الشيوعية العالمية.[1].

فلا شك أن المخططات الاشتراكية تستهدف الإسلام وتعاليمه لكونه الصخرة الكبرى والقوة العظمى والشريعة السمحة والعدالة الحقة والمبادىء السامية... لهذا فهم لا يألون جهداً في سبيل هدمه أو على الأقل تعويقه وعدم نشر تعاليمه، ومحاربة المبادىء الربانية التي جاءت لاسعاد البشرية، وإن كانت الشيوعية قديماً قد كشفت النقاب عن حقدها الدفين. فهي اليوم تحاول النيل من الإسلام والمسلمين بطرق ملتوية بعد أن وضحت حقائقهم وكشفت مخططاتهم.

وإن كان إعلامهم قوياً، وكتبهم متداولة ونشراتهم وإذاعاتهم لا تكف عن الدعوة إلى أفكارهم، فواجب الصحافة الإسلامية يقتضي التصدي لفضح هذه المخططات والألاعيب وابراز سؤاتها، وأن تنير الطريق للمغررين الذين استقطبتهم الشعارات الزائفة والمبادىء البراقة. وتعمل على تبصير المخدوعين وتأخذ بأيديهم إلى الجادة المستقيمة. بل يستوجب الأمر ألا مهادنة ولا نفاق ولا رياء

(١) انظر. المصدر السابق ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩

صحفي وإعلامي لأي إنسان مهما كان - حاكماً أو محكوماً - ولا لأي حزب مهما تسلط وتجبر، وتحت أي ظرف من الظروف. الأمر يتطلب قول الحق ونشره وتزينه والدعوة إليه واسقاط الباطل وازهاق روحه. من خلال صحافة ملتزمة وإعلام أصيل.

ولعله يكفي «المؤلف» في هذا المجال أن يقدم نموذجين للمذاهب أو الأفكار المعاصرة المعادية، للوقوف على مدى تأثير هذه الأفكار في الصحافة الإسلامية. وسيكون النموذج الأول عن :

التأثير في الاتجاه الشرقي - الاشتراكي :

نجد مجلة «منبر الإسلام» وهي تحمل بطبيعة الحال «شارة الإسلام» شعاراً لها وهي مجلة تصف نفسها بمجلة «الثقافة الإسلامية» تصدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غرة كل شهر عربي بالقاهرة.

ففي عددها رقم ٣ بتاريخ ربيع الأول عام ١٣٨٣ هـ[1] تقدم لنا على سبيل المثال جملة من الموضوعات بين دفات صفحاتها، لا نقول إنها لا تخص الإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد فسحب، ولكن نقول إنها تقف في الصف المعادي للإسلام ومبادئه. وتنشر وتبث له كل ما يخالف عقيدتنا الإسلامية وشريعتها الغراء. وسنورد هنا صوراً من تلك الموضوعات.

---

(١) يوافق هذا التاريخ شهر آب (أغسطس) ١٩٦٣ م.

«الصورة الأولى»

في حديث لحسين الشافعي نائب رئيس جمهورية مصر آنذاك تحت عنوان «لا طبقية في الإسلام»[1].

وبعد أن قدمت له المجلة المذكورة بالتقديم التالي :

دعته جمعية نساء الإسلام إلى اجتماع عقدته يوم ١٧ محرم ١٣٨٣هـ الموافق ٩ يونيو ١٩٦٣م، بدار الغرفة التجارية في القاهرة ليتحدث إلى عضوات لجان الاتحاد الاشتراكي. فاختار أن يتحدث عن «الحرية بجناحيها الاشتراكية والديمقراطية» فجعلت الجمعية الدعوة عامة، وتمثلت المرأة في الاجتماع بأكبر عدد، وتحدث السيد نائب الرئيس إلى الحاضرين وقد غصت بهم القاعة، وقوطع حديثه في أكثر من موضع بالتصفيق.. قال سيادته بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله :

حديث الحرية.. يأخذ بمجامع القلوب : ونحن في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخ أمتنا العربية [لاحظ العربية فقط وليس الإسلامية]، نقدم المثل الناجح في كل ميدان من ميادين العمل، العمل الذي هو حق للمرأة والرجل معاً [لاحظ أيضاً هكذا «العمل» على اطلاقه دون أن يحدد طبيعة عمل المرأة أو المجالات التي يمكن أن تعمل بها وفي أي جو تعمل]، عمل يندفع فيه المجتمع بكل قوته لبناء مستقبله،

---

(١) ــ تحت هذا العنوان. الذي أختارته المجلة للحديث الوارد ذكره. تريد المجلة من ورائه تغطية ما بين سطور الحديث من أمور تخالف الشرع الاسلامي، من دعوة إلى الاشتراكية والقومية، وكذلك لترغب القراء بل تقول لهم أن موضوعاتها اسلامية .. هاكم اطلعوا عليها. فياله من نفاق وخبث ومكر ومداهنة.

وهو يذكر قوله تعالى ﴿.... أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض ....﴾[1]. ويمضي المتحدث في جانب آخر من محاضرته قائلاً :

وإننا حينما نبني الاتحاد الاشتراكي العربي ممثلاً لتحالف قوى الشعب العاملة، إنما نقيم سداً عالياً للاشتراكية والديمقراطية معاً. وحينما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية لتؤكد قيام العدالة الاجتماعية. [لاحظ قوانين يوليو الاشتراكية هي التي تحقق العدالة الاجتماعية وليس شريعة الله. كما يقول هذا المسلم] لم نقصد بها عدالة التوزيع فحسب، بل كان الجانب المعنوي هو الهدف، فقد أحس العمال بكيانهم عندما وجدوا أنفسهم شركاء في الإنتاج، وفي إدارة الإنتاج... وفي أرباح الإنتاج، والحد الأدنى للأجور الذي لم تسمح به عهود الرأسمالية المستغلة.

لم يكن سهلاً أن يتكلم أحد في «البرلمانات» السابقة عن هذه الحقوق المشروعة لقوى الإنتاج، فإن تلك «البرلمانات» كانت تمثل حكم الطبقة، والطبقة دائماً تحتكر لنفسها كل شيء، وتحرم كل الشعب من كل شيء، أما تحالف قوى الشعب فهو الحصن الوحيد لحراسة الاشتراكية والديمقراطية لكل الشعب...[2] ويمضي المحاضر قائلاً :

---

(١) سورة آل عمران. الآية / ١٩٥

(٢) لقد ذهبت المجلة بدعايتها للاشتراكية والقومية والديمقراطية وأفكارها الدخيلة بعيداً، حيث وضعت عبارة «حكم أو تحالف الشعب» لهذه الفقرة من كلام المتحدث تنمقه وتحسنه وتجمله وتخرجه بأحسن ما يكون الإخراج وما هذه إلا صورة من صور النفاق والدجل .. بعيدة كل البعد عن أوجه الحق والحقيقة، بل عن روح الاسلام وتعاليمه الساميه..

إن المثل الناجح لجمهوريتنا يفرض علينا أن نـقيم «الاتحاد الاشتراكي العربي [تمعن إقامة الاتحاد الاشتراكي، وليس إقامة قوانين الشريعة الإسلامية وتطبيقها !] ليحمي الحرية ويدفع الاشتراكية ويحقق الوحدة.

طريق الثورة هو طريق الحرية.. هو طريق الاشتراكية.. هو طريق الوحدة.. ولا يمكن لنا أن نحقق الاشتراكية والوحدة إلا إذا استشعر كل مواطن الثورة في نفسه، على قاعدة الحرية.

«ضمانات الحرية...»

ومن ضمانات الحرية التي كفلها الميثاق الوطني – كما يقول نفس المتحدث –: حرية العلم وحرية الرأي لكل مواطن... لقد كانت «الصحافة» في الماضي مطية لرأس المال، ولكنها اليوم بملكية الاتحاد الاشتراكي لها، ملك للشعب، تجسد فيه إحدى ضمانات الحرية، حرية الرأي بجانب حرية العلم وحرية العمل... ثم حرية التصويت في الانتخابات بعد تحرير لقمة العيش... ونصيب عادل من الثورة... التخلص من القلق.

كل هذه الحقوق لا يمكن أن تمنحها طبقة أو حزب للشعب العامل... ومن هنا تمحى صورة الحزب من نظام الاتحاد الاشتراكي العربي. فالحزب مجموعة معزولة عن الشعب، تباشر ديكتاتورية الحزب، والاتحاد يمارس الديمقراطية لأنها صورته...

ويستطرد المتحدث في جانب آخر من محاضرته ليقول :

وعندما تلتقي القوى العاملة في الاتحاد الاشتراكي العربي بلا

تفرقة بين طبقة وطبقة، ورجل وامرأة [لاحظ لا فرق بين الرجل والمرأة وإنما مساواة مطلقة] فإنما «تسقط بيد الوحدة الوطنية حكم الطبقة» ليقوم في مكانه حكم التحالف الوطني لقوى الشعب العاملة. لتكون كل سلطة الشعب [لاحظ أيضاً سلطة الشعب وليس سلطة الإسلام] فوق الأجهزة التنفيذية. فإن الديمقراطية عندما تمارس بحق تجعل للشعب الكلمة الأولى في اعادة صنع حياته وفق ارادته.

ويختتم المتحدث محاضرته قائلاً : وهنا تبدأ مسئولية الاتحاد الاشتراكي العربي، فهو التنظيم الديمقراطي الثوري، هو التحالف الشعبي لكل القوى العاملة، من أجل حماية التطبيق الاشتراكي، لتبقى الحرية للشعب بجناحيها، الديمقراطية والاشتراكية، فيحلق الأحرار بأفكارهم إلى النجوم.

«الصورة الثانية» :

فيما سبق صورة أو نموذج لما تبثه وتنشره بعض الصحف التي تتخذ من الإسلام شعاراً لها.. ونعرض هنا صورة أخرى لنفس المجلة ولنفس العدد بغية أن تكون الصورة أكثر وضوحاً... ففي تحقيق صحفي خاص للمجلة تحدث وزير الشباب آنذاك محمد طلعت خيري عن بعض المضوعات الخاصة بالشباب.

وقد وصفت المجلة حديث الوزير في مطلع المقال بالآتي :

وتحدث السيد الوزير... حديث الأرقام ... عن مكاسب الشباب العربي [لاحظ الشباب العربي وليس الإسلامي] في ظل رعاية الثورة التي لم تبخل عليه – منذ قيامها – بالرعاية الكاملة وتوفير الإمكانات...

دور الشباب في معركة البناء :

يقول المتحدث : وكل ما أرجوه من الشباب أن يعيش في واقع حياة الأمة العربية [لا الإسلامية] وأن يرتفع بحاضره إلى مستوى أماني أمته.. [العربية بالطبع] ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاطلاع والثقافة، والتفاعل مع المجتمع، والاسهام في المشروعات القومية والاجتماعية والاستفادة من الإجازة الصيفية بالاشتراك في معسكرات العمل على المستوى القومي وعلى مستوى المحافظة.[1]

الثورة ورعاية الشباب :

ويضيف المتحدث قائلاً :

وشهد الشباب من الرعاية في سنوات الثورة ما يتحقق في قرون وأجيال. فثورتنا قادتها طلائع من الضباط الشبان الذين آلوا على أنفسهم أن يطهروا الوطن ويحرروا الأوطان. فتصبح الأرض ملكاً خالصاً ينعم ابناؤها بخيراتها في ظل الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا ومن خطنا المتميز في الحياة.[2]

وقد رأت الثورة أن تتوج مجهودها في ميدان رعاية الشباب

---

(١) معسكرات العمل على المستوى القومي، أي معسكرات تنظم من أجل كل ما يخص «العروبة»، لا معسكرات إسلامية المنهج والهدف.

(٢) ينعم بخيراتها في ظل الاشتراكية العربية النابعة من واقعنا – أي لا ينعمون بخيراتها في ظل الإسلام وشريعته – وكأن الأرض ملكاً لهم. وليس لله تعالى وما الإنسان إلا خليفة الله في أرضه، يقول تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ٥ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ البقرة / ٢٩، ٣٠

بتشكيل وزارة الدولة للشباب لتقوم بالرعاية القومية والثقافية والاجتماعية والعسكرية والرياضية والفنية للشباب. [تمعن رعاية وثقافة قومية.. ورياضة وفن للشباب. ولا ذكر للثقافة أو العلوم الإسلامية. وكأن الإسلام لم يعط الشباب حقهم من الرعاية بكل جوانبها، أو كأن الإسلام ليس فيه مما ذكره هذا المستوزر]

الشباب والميثاق :

وفي جانب آخر من الحديث يقول المتحدث :

ومن واجب الشباب أن يدرس الميثاق الوطني دراسة واقعية، والتعمق فيما حواه من قيم خالدة ومبادىء العمل الثوري، وأن يعمل على تطبيقه وتوضيحه لمن يحيطون به... فإن في الميثاق الوطني من المبادىء ما نستطيع به تحقيق آمالنا في إقامة المجتمع الجديد الذي ننشده.. مجتمع الكفاية والعدل.

[دعوة لدراسة الميثاق الوطني – الذي هو من صنع البشر – وبتعمق، وتنفيذه ونشره، وليس دعوة لدراسة متعمقة «للقرآن الكريم» كتاب الله، الرسالة الخالدة، والأخذ بما يحويه من مبادىء سامية وتشريع عظيم، صالح لكل البشرية، ومحقق سعادتها وأمنها واستقرارها حتى يرث الله الأرض ومن عليها].

«الصورة الثالثة»

وهذه صورة ثالثة لما تنشره مجلة «منبر الإسلام» وفي العدد ذاته لتتضح لنا الرؤية أكثر فأكثر، إذ سنجد أن أكثر من نصف

مقالاتها التي تضمها دفات صفحاتها تدعو إلى الاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها من الأفكار المستوردة الهدامة.
وهذه الصورة جاءت تحت عنوان :

«دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام»

ويستهل الكاتب مقاله قائلاً :

لا أخال أحداً يختلف معي في أن الميثاق الوطني جاء جامعاً شاملاً متضمناً لكافة مجالات حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقبل كل شيء جاء ممتلئاً بكل ما هو ذو نفع لقطاعات حياتنا في الزراعة والصناعة والاقتصاد والمال. ولم يكتف بهذه النظريات والمبادىء بل تعداها إلى وضع الخطوط الصادقة العملية كبرامج للتجربة والتطبيق، والعجيب أن الميثاق لم يغادر القيم الروحية والمعنوية والتي نحن بسبيل معالجتها في مقالنا الحالي [لا ندري ما وجه التعجب هنا وما موقعه؟ ولا نعرف ما القيم الروحية والمعنوية التي تدور في ذهن الكاتب وهو يمجد بالميثاق ويضعه بالمنزلة العظيمة والدستور الكامل ؟]

ويضيف الكاتب : وهو – أي الميثاق – في علاجه واشارته إلى هذه القيم يدفع بالحياة بشعارتها وعقائدها الجديدة إلى رحاب فسيحة من الفهم والوعي لكل المواطنين الذين أصبحوا هم الحفاظ الأول على مكاسبهم وأصبح رواج هذه المكاسب مسئولية والتزاماً بدأ المواطن من خلالها يشعر بوجوده وبيومه ورزقه. [ما الذي يقصده الكاتب بالشعارات والعقائد الجديدة، نحن لا نظن إلا تلك المستوردة والدخيلة على ساحتنا العربية الإسلامية، ثم ما هذا الميثاق؟ الذي

أصبح فيه الإنسان يشعر بوجوده وبيومه وبرزقه؟ إنه تمجيد وتعظيم يصل – والعياذ بالله – إلى منزلة القرآن الكريم وسنة نبيه].

وفي موضع آخر من المقال يقول الكاتب :

جاء في الميثاق «أن رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات إنسانية استهدفت شرف الإنسان وسعادته. وإن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته. إن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة [لا نعلم ما المقصود بحقائق الحياة عند صاحب المقال هذا؟]. وإنما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية [أيضاً لم يوضح لنا هذا الميثاق ما الرجعية ومن يقصد بها؟ نخاله هنا – والله أعلم – يقصد بها المتمسكين بالإسلام وقيمه ومبادئه وشرعه] أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية.

لقد كانت جميع الأديان ذات رسالات تقدمية ولكن الرجعية التي ارادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها كي يوقف تيار التقدم.

فالميثاق إذاً دعوته من دعوة الدين الحنيف – كما يقول الكاتب – وتقدمية الإسلام ورفعته ونداءاته وشعاراته التي جعلها القرآن الكريم بحكم آياته تجيء كلها لنصرة الحياة الكريمة وإعداد الفرد ودفعه إلى ما فيه رفعة الحياة ورفعة المجتمع.

وإذا كان الميثاق قد أفرد للاشتراكية أبواباً عديدة، وأوضح أن جناحيها هما «الكفاية والعدل». أي كفاية المواطن المسلم والعدل في المجتمع الإسلامي. ولا أعتقد أن حياة مؤمنة مباركة تكون في رحاب ورضا المولى عز وجل كتلك التي ترفرف عليها الكفاية والعدل. حيث تنطلق قوى التعمير والبناء والإعداد والتحضير في كل مرافق الحياة العظيمة الجديدة. بخلق المؤمن القوى في وطننا العربي الأصيل.

ويورد الكاتب أوجه الشبه - كما يزعم - بين القرآن الكريم والميثاق، إذ يورد قوله تبارك وتعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كّنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مآواهم جهنم وساءت مصيرا﴾.[1]

ويقول - الكاتب - وهذه العجالة توضح ببساطة ذلك المدى الذي عظّم فيه الله تعالى بني الإنسان فكرمهم وجعلهم خلفاء في الأرض. ومن خلال هذه العجالة أيضاً - كما يقول الكاتب - يستبين لنا تعظيم الميثاق للإنسان.

ويشير الكاتب أيضاً. إذا كان العمل في الإسلام بلغ مرتبة العبادة ﴿وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...﴾[2] فقد ردد الميثاق في أكثر من موضع مشيراً في

---

(١) سورة النساء. الآية / ٩٧

(٢) سورة التوبة. الآية / ١٠٥

بابه السابع أن الإنسان العربي [لاحظ الإنسان العربي وكأن الإسلام خاص بالعرب فقط، وكأن القرآن المجيد نزل على العرب دون غيرهم من الأمم والشعوب.] سوف يقرر بنفسه مصير أمته على الحقول الخصبة وفي المصانع الضخمة ومن فوق السدود العالية وبالطاقات الهائلة المتفجرة بالقوى المحركة. ولعل هذا الالتقاء – والكلام للكاتب – بين مفاهيم الميثاق ودعوته التي تنبثق من دعوة الإسلام البناء الخلاق. لعلها تكون أقوى مثل لاخراس الرجعية.

هذه مقتطفات من هذا المقال، الذي يختتم فيه الكاتب حديثه قائلاً :

هذه هي صناعة المستقبل كما يراها الميثاق. فهي تنبع من تعاليم الإسلام الحنيف، وتسير على هدى الرسول الكريم وسنته.

ونحن نقول متسائلين، وبكل دهشة : ترى أي تعاليم إسلامية وأي هدى نبوي هذا الذي يسير عليه وينهجه الميثاق ويهتدي به، هل القومية العربية والحرية الفوضوية، والانحلال والاشتراكية من تعاليم الإسلام ومن هدي السنة المطهرة؟ حاشا أن تكون هكذا ولكنه النفاق والتضليل والزيف والانحراف والمهادنة. بل قل من غير ادراك لحقيقة الإسلام وشرعه. فهل يصح وضع الميثاق أو الدستور – الذي هو من صنع المخلوق — في مقياس واحد أو في ميزان واحد مع القرآن الكريم؟

القرآن الكريم الذي هو مصدر التشريع ودستور الإسلام كتاب الله. مهما علا أو سما أيُ كتاب صادر عن مخلوق فلا يستوي مع كتاب صادر من خالق الخلق بل حتى بآية واحدة من آياته

الكريمات، وما المقارنة هنا إلا سخف وعبث وجهالة مركزّة وطعن في الاسلام. وإذا كانت الإنسانية في تقدمها وتطورها تسعى لتدعيم حقوق الشعب قد سجلت مواثيق وإعلانات تعتز بها، كوثيقة الحقوق في إنجلترا وإعلانات الحقوق الفرنسية ومثل إعلان حقوق الإنسان الصادر عن ما يسمى بالأمم المتحدة أو مجلس الأمن. نقول إذا كان ذلك ... فالقرآن الكريم بقيمه ومثله وبأحكامه وتشريعاته يعلو كل المواثيق والدساتير الوضعية. ويمثل «الشرعية العليا» التي عاشت في ضمير هذه الأمة ووجدانها منذ أربعة عشر قرناً.. منذ رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا.

ولئن ظلت الدساتير ولزمن طويل تمثل «الجانب السياسي» لحياة الأمة وتنظمه. وتطورت لتشمل أحكام اقتصادية واجتماعية وثقافية.. وقليلاً من الأحكام الخلقية. فإن القرآن الذي سبقها بأكثر من ألف عام، يعالج حياة الفرد، وحياة الأسرة وحياة الأمة.. ويعالج كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. ومن قبلها يعالج أمور العقيدة والأخلاق والشعائر. فهو بإجمال يعالج أمور الدنيا والآخرة. بما فيه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

يقول تعالى ﴿.... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[1].

فكتاب الله وحدة واحدة متكاملة فهو في القلوب عقيدة وإيمان.. وفي العقول فكراً وتدبراً، وفي الحياة منهجاً ونظاماً وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة. لأنه يعتبرها فتنة وجاهلية وكفراً.

(١) سورة النحل. الآية / ٨٩

فيما تقدم نماذج أو صور لبعض ما نشرته أو تنشره بعض صحفنا الإسلامية بكل أسف... فهي تدعو للاشتراكية والقومية وتبث لمعتنقيها وأعوانها، بل وتنشر ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله. وهي تدعي أنها مجلة الثقافة الإسلامية، فأي ثقافة إسلامية هذه التي بين دفات صفحاتها؟ نرجو وندعو لهذه المجلة ولغيرها بالثبات على منهج الله وشرعه فيما تنشر وإلى أن تكون منبراً للثقافة الإسلامية بصدق وحق. وألا تأخذها في الحق لومة لائم تحت أي ظرف من الظروف.

أما عن التأثير بالاتجاه الغربي :

فيكفي (المؤلف) أن يشير إلى ما لقيته معاهدة السلام التي عقدها الرئيس المصري – محمد أنور السادات – مع اليهود من تأييد من بعض المجلات التي تحمل صفة الإسلام. بل وصل الأمر إلى حد أنها انقلبت على نفسها، فبعد أن أصدر الأزهر قراراً بأن الاعتراف بإسرائيل لا تقره الشريعة الإسلامية، ذهبت مجلة «الأزهر» تؤيد وتبارك معاهدة «كامب ديفيد» وتنشر الفتاوى الباطلة لبعض علماء الأزهر بهذا الشأن... وكم كنت أود أن أنقل النصين المتضاربين، إلا أن الظرف والوقت لم يسعفاني، وقد بذلت جهداً كبيراً للحصول على النصين، كما بذلتُ جهداً أكبر عندما ذهبتُ إلى مصر بأمل الحصول على أعداد من مجلة «الأزهر» – وزرت مكتبة الجامعة نفسها – ومكتبات كلياتها المختلفة ومكتبات عامة عديدة، ولكن دون جدوى حيث ذهبت محاولاتي سدى.

ويكفينا أيضاً في هذا المقام أن نشير إلى «الأخبار» أو التصريحات التي تناقلتها صحف العالم ووسائل إعلامه. ومنها قيام شيخ الأزهر – آنذاك – بدعوة الأئمة والعلماء وكافة المصريين إلى آداء «صلاة» الشكر بعد معاهدة – الكامب – وقد قام بآدائها إماماً. وكذلك بيان علماء الأزهر الذي شبه معاهدة الصلح الآثمة بصلح الحديبية، واستشهاد – بعض علمائه المداهنين – بآيات من كتاب الله في غير ما أنزلت لأجله، أو مارمت إليه. فيجادلون في مثل قولهم. أليس الله هو الذي يقول ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله....﴾[1].

فأفتى الأزهر وقتها بجواز المعاهدة شرعاً وعدم تعارضها مع مبادىء الإسلام.

ولا بأس أن نورد هنا – بتصّرف بسيط جداً – تعليقين لمجلة «المجتمع» الكويتية، ترد فيه على هذه الادعاءات المشبوهة وتبين زيفها.. نُشرا في عددها رقم/ ٤٤٣ الصادر في اليوم الرابع من جمادي الآخرة ١٣٩٩ هـ[2] الأول بعنوان:

«كلا إنهم لم يجنحوا للسلم»

أوضحت المجلة فيه كيف حمّل اخوان الهزيمة والاستسلام من الامعات في العهد الاستسلامي الآية الكريمة غير ما تحمل وكيف

---

(١) سورة الانفال. الآية / ٦١

(٢) يوافق هذا التاريخ ١ (مايو) ١٩٧٩م

استغلت في عمل غير شريف أو نبيل.. منبهة إلى ما يعمد إليه البعض من جعل النصوص المرحلية نصوصاً نهائية، وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة، يجعلون منها نصوصاً مطلقة. وهذا نص المقال :

«كلا إنهم لم يجنحوا للسلم»

ما يغيظ شيءٌ كما يغيظ الاستشهاد بآيات من كتاب الله في غير ما أنزلت لأجله، أو مارمت إليه. وإن تكون الفتوى لتسويغ ما لا يستساغ، ولإباحة ما حرم الله. وما أحنقني في موسم الضلال والتضليل كما أحنقني اطلاق آية كريمة تنضح عزة للحث على الاستسلام.

وقد بلغ مبلغ ازدلاف بطانة السلطان – المداهنة – له أن راحوا يحوّرون الآية تحويراً يعكس مبناها ومعناها، ويخاصم غايتها ومرماها، ويجعلونها شعاراً لتسويغ الهزيمة الشنعاء. وتزكية ما ليس بالزكى من الأخطاء، وما تقوَّل في إنسان يتذرع بآية من القرآن لموالاة الشيطان.

وبعد فالله يقول في سورة الأنفال ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ وردد الرئيس السادات، واخوان الهزيمة وأنصار السلم، والمعممون من كتّاب صحف وخطباء منابر، هذه الآية في معرض الدعوة إلى العهد الاستسلامي، ولقنها الرئيس «صديقه» جيمي كارتر ليستشهد بترجمتها ساعة التوقيع المشئوم، لذلك العهد الثلاثي المذموم. وإذا كان تحميل هذه الآية غير ما تحمل، واستغلالها في عمل غير كريم مما ينكر على الجهلة الاغرار، أو الأوشاب الاغمار، فما نقول إذا كان ذلك قد اجترحه نفر من المشايخ تزيوا بزي

علماء، فاعتموا عمامة الفقهاء، واجتبوا جبة الخطباء؟ إلا أن وزرهم أفدح من إثم، وافظع من خطيئة، إنهم سخروا محكم الآيات لتزكية عملة السادات.

إنني قبل أن أعود إلى الآية : ﴿وإن جنحوا للسلم...﴾ أذكر الآية التي سبقتها، ولم يرددها السادات وكتابه ومشايخه وكارتر، مع أن الآية اللاحقة التي استشهدوا بها هي تتمة للآية السابقة التي تغافلوا عنها. والمعنى الكامل إنما يستقيم بهما معاً. إنها : ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ اليكم وأنتم لا تظلمون﴾[1]... هذه الآية تحث على تعبئة كل ما يستطاع من قوة لارهاب العدو.. ثم تليها الآية : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» وهذه في هذا السياق واضحة المعنى بينة المرمى.. إنها تشترط أن يجنح المرعوبون إلى السلم، حتى إذا جنحوا هم للسلم أولاً «فاجنح لها»... وما معنى جنوحهم للسلم؟ إن الإمام جمال الدين القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» يقول : «إي إذا مالوا وانقادوا للصلح والاستسلام بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما لكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها» ومثل هذا التعريف للسلم أورده سائر المفسرين، فالالوسي قال : «للسلم أي للاستسلام والصلح» وجوهري قال : «أي مالوا للصلح والاستسلام».

---

(١) سورة الأنفال. الآية / ٦٠

ومع أن بعض المفسرين قالوا : إن هـذه الآيـة منسوخـة بأخريات تحتم القتال حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مستسلمين، واشاروا إلى أن الآية جاءت في سورة «الأنفال» وإن سورة «التوبة» قد جاءت بعدها، وفيها الأحكام النهائية القاطعة، فإن الآية كما فسرها جميع المفسرين قالت : «وإن جنوحهم للسلم هو استسلامهم».

ولعل الشهيد سيد قطب، صاحب «ظلال القرآن» ادرك بنور الغيب ما سيلجأ إليه البعض من تحريف لمعاني الآيات لاغراضهم فقال ما نصه : «إنهم يعمدون إلى النصوص المرحلية فيجعلون منها نصوصاً نهائية، وإلى النصوص المقيدة بحالات خاصة فيجعلون منها نصوصاً مطلقة للدلالة. حتى إذا وصلوا إلى النصوص النهائية المطلقة أوّلوها وفق النصوص المقيدة المرحلية.. وإن الإسلام يتهالك على إي غرض للمسالمة» ثم قال رحمه الله : «والذين يلتمسون فيه ما يواجهون به الواقع في كل حالة لن يضطروا إلى لَيّ اعناق النصوص وتأويلها تأويلات تأباها.. وإنما هو المطلوب تقوى الله والتحرج من تطويع دينه لواقع الشر الجاهلي والهزيمة به، والوقوف به موقف الدفاع، وهو دين مسيطر حاكم يلبي – وهو في مركز الاستعلاء والمبادأة – كل حاجات الواقع وضرواته».

واتساءل بعد ما أسلفت من قول : هل جنحت إسرائيل للسلم؟ هلى بادرت إلى الاستسلام فالمصالحة؟ أم أن الرئيس المصري (المسلم) هو الذي بادر إلى الاستسلام، فكان ذلك العهد العار المعيّـر؟ هل كف اليهود عن تهويد البقية الباقية من اشلاء فلسطين؟ هل تورعوا عن تبديل اسمها فضلاً عن تهويدها؟ هل تزحزحوا قيد شعرة

واحدة عن اعتبار القدس عاصمتهم السرمدية؟ هل تردد «بيغن» أو «جمجم» أو «غمغم» أو «فأفأ» أو «وأوأ» في إعلانه أمام كارتر والسادات إن القدس الواحدة الموحدة هي عاصمة إسرائيل الأبدية؟ أو لا يزالون يحتلون سيناء والجولان وجنوب لبنان ويزرعون المستوطنات؟ أهذا هو جنوحهم للسلم أيها الراكنون إلى الذين ظلموا؟ ألم يقرأ هؤلاء أو أولئك ويتدبرون قول الله عن السلم المنشود : ﴿.. فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السَّلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾[1].

فهل اعتزلونا وانسحبوا من بلادنا وعاد إليها المشردون من أهلها؟ وهل كفوا عن التنكيل بأهلنا؟ وهل استسلموا؟ إن في تقتيل شباب «حلحول» وحبس سكانها وتجويعهم وتدمير بيوتهم ابلغ جواب عن هذه التساؤلات.

إن حكم مولاة النظام المصري ومن ظاهره من المحسوبين مسلمين في سجلات الاحصاء للمعتدين المحتلين المغتصبين نجده في الآية الكريمة : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[2]. ألا تنهانا هذه الآية يا من باركتم المعاهدة العار، عن موالاة الذين قاتلونا واخرجونا من ديارنا وظاهروا على اخراجنا؟

---

(١) سورة النساء. الآية / ٩٠

(٢) سورة الممتحنة. الآيتان / ٨ ، ٩

ألا ليت هؤلاء الذين هللوا وكبروا، كلا بل طبلوا وزمروا، والذين صوتوا للمعاهدة، والذين تساقوا والسفاح الصهيوني كؤوس الغرام ورفهوا عنه بليلة... قالت الصحف العبرانية «إنها كانت من ألف ليلة وليلة، وإنه قد قبل الزافنة المغناج من جوقة الراقصات» .. ليت هؤلاء يتدبرون قول القرآن في قوم «بيغن» : ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾[1]... ويقول الإمام القاسمي في تفسير هذه الآية «إي لو لهم نصيب من الملك، فلا يؤتون احداً مقدار نقير لفرط بخلهم، والنقير هو النقرة تكون في ظهر النواة، وهو مثل في القلة والحقارة» وهذه لا تسمح كزازة اليهود واثرتها البغيضة أن تعطيها للناس لو كان لها في الملك نصيب» كما يقول سيد قطب .

ثم إن الذين يسوغون معاهدة الغاصب السفاح لا يفتأوون يرددون : لقد ضحينا بالألوف وخضنا حروباً عديدة. كما لو كانوا وحدهم الذين بذلوا وقاتلوا، وكما لو كان الجهاد كرمى لغير وطنهم ودينهم ومقدساتهم وقوميتهم، وإذا كانت نكسة، تنكروا لعروبتهم، وتجهموا لاشقائهم، وتداعوا إلى اقليميتهم.. وراحوا يمنون علينا ما صنعت مصر، وهم في هذا كله، لا يمثلون روح مصر العربية المسلمة، وقديماً منَّ هذا الطراز من الناس على الرسول الأعظم (ﷺ) إسلامهم فنزلت هذه الآية : ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ

---

(١) سورة النساء. الآية / ٥٣

إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾[1].

وفي عددها رقم ٤٤٥ الصادر في ١٨ جمادي الآخرة عام ١٣٩٩ هـ[2] نشرت تعليقاً آخر تحت عنوان : «لا يا علماء الأزهر لا تشوهوا التاريخ».

حيث قارنت المجلة في تعليقها بين جريمة الصلح وصلح الحديبية وبينت الفارق الكبير. ونتائج كل منهما.. وهذا هو نص التعليق :

«لا يا علماء الأزهر لا تشوهوا التأريخ»

في بيان علماء الأزهر الذي شبّه معاهدة الصلح الآثمة بصلح الحديبية تزوير للتأريخ وتحريف للكلم عن مواضعه وتلبيس على الأمة في دينها... لهذا وجب على كل هيئة إسلامية أن تبيّن زيف هذا الادعاء واظهار الفارق الكبير بين معاهدة الصلح وصلح الحديبية وها نحن ندلي بدلونا :

المقارنة بين جريمة الصلح وصلح الحديبية :

صلح الحديبية قام بتخطيط من الله، والدليل على ذلك أن ناقة الرسول الكريم خلأت ولم تدخل مكة، فقال الصحابة خلأت القصواء فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : «ما خلأت القصواء

---

(١) سورة الحجرات. الآية / ١٧

(٢) يوافق هذا التاريخ ١٥ (مايو) ١٩٧٩م.

وما هو لها بخلىء ولكن حبسها حابس الفيل»[1] يعني ذلك أن الله لم يأذن بدخولها مكة.

وكذلك رد الرسول الكريم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا أعصي الله ولن يضيعني»[2] يوم احتج عمر على صلح الحديبية وقال : «لم نعط الدنية في ديننا».

أما معاهدة الصلح مع اليهود فكانت بتخطيط عباقرة اليهود وبمؤازرة الصليبية الحاقدة بالمال والعتاد. وبمعونة الشيوعية الملحدة بالطاقة البشرية.

صلح الحديبية ارسل فيه الرسول الكريم عثمان بن عفان إلى مكة بأمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن يُطمئن المؤمنين المستضعفين في مكة أن النصر قريب، وهل طمأن السادات المسلمين في الأرض المحتلة؟؟

الأمر الثاني : أن يدعو مشركي قريش إلى الإسلام، وهل دعا السادات اليهود إلى دينه أم أنه أصبح – بسلوكه هذا ـــ كاليهودي.

الأمر الثالث : أن يُطمئن مشركي قريش أن الرسول ما جاء للحرب وإنما جاء معتمراً هو وأصحابه.

لقد حقق صلح الحديبية أكبر اعتراف من دولة الكفر المتمثلة بقادة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب. الجزء / ٤ رقم الكتاب ٥٤ رقم البّاب ١٥

(٢) رواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. ج / ١٢ باب صلح الحديبية .. بلفظ «يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»

مكة ومشركي قريش حقق اعترافاً رسمياً بالدولة المؤمنة الناشئة في المدينة، وذلك لمجرد أن رضي زعماء قريش بالصلح.
أما معاهدة الصلح الآثمة فقد أوقف السادات فيها ملايين المسلمين في مقام كفار قريش وطلب منهم أن يعترفوا بدولة إسرائيل الناشئة. هل علمتم هذا يا من سوغتم المعاهدة؟

إن صلح الحديبية كان موقوتاً. والدليل على ذلك أن أبا بصير فر من مكة إلى المدينة فأرسلت قريش رجلين في طلبه تنفيذاً لبنود المعاهدة. فأمره الرسول بالعودة معهما فعاد، وعند حدود المدينة جلس الثلاثة في ظل شجرة، فقال أبوبصير لاحد الرجلين : إن سيفك هذا جيد أرني اياه فقام الكافر وهو معتز بسلاحه ووضع السيف في يد أبي بصير. وبلمح البصر أطاح أبوبصير برأسه وفر الثاني إلى المدينة وأبوبصير يشتد خلفه ووصلا إلى الرسول الكريم. فقال الرسول كلمة خطيرة : «ويل أمه إنه مسعر حرب لو كان له أحد»[1] ففهمها أبوبصير وكوّن بها أول قاعدة عسكرية لأول عمل فدائي في الإسلام في قلب الصحراء عند ساحل البحر الأحمر وأخذ يصطاد كل قافلة لقريش تمر به.. وهذا في الميزان العسكري يسمى «الاستنزاف لقوى العدو»... نتج عن ذلك أن تنازل المشركون عن شرطهم وطلبوا من الرسول أن يضم إليه أبا بصير وجيشه. وهذا أول نصر حققه صلح الحديبية لأن هذا التنازل هو بداية الاستسلام من قبل معسكر الكفر.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب. الجزء / ٤ رقم الكتاب ٥٤ رقم الباب ١٥.

بينما نرى السادات بميثاق الصلح، وبعد أن اتفق على مرابطة ثلاث فرق مصرية بين مصر وإسرائيل فإذا به بجرة قلم أمام «كارتر وبيغن» وبسخاء حاتمي ليس له مثيل يلغي فرقتين كاملتين ويكتفي بفرقة واحدة ليثبت لهما حسن نيته ومحبته للسلام - كما يظن ــ

في صلح الحديبية عقد الرسول حلفاً مع قبيلة خزاعة، فكان هذا الحلف بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير لأن قبيلة بكر - حليفة قريش ــ قتلت رجالا من خزاعة وهم في جوار الكعبة. فما أن وصل الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جهز جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل ليثأر بهم من أجل حفنة من رجال خزاعة ليسوا على دينه. فهل تحرك السادات بجيشه الباسل ليثأر لدماء الأبرياء في فلسطين ولبنان أم أنه ارسل يعزي اليهود في قتلاهم؟.

نتائج صلح الحديبية :

أ ــ اعتراف قريش بالدولة الإسلامية الناشئة.

ب التفرغ لفتح خيبر وحرب اليهود.

ج ــ اظهار قريش وحلفائها بمظهر الخائن، الذي لا يفي بالعهد والميثاق.

د ــ فتح مكة وتحطيم ٣٦٠ صنماً في الكعبة وما حولها.

هـ ــ دخول الناس في دين الله أفواجا.

و ــ انهزام أكبر معقل ديني للطاغوت في جزيرة العرب.

ز ــ استسلام الجزيرة العربية كلها للدولة الناشئة.

نتائج معاهدة صلح السادات :

أ ــ تمكين اليهود في الأرض المحتلة واعطاؤهم شرعية التملك.

ب تشجيع اليهود على تكثيف الهجمات البربرية على مخيمات اللاجئين.

ج ـــ جرأة اليهود على الاستهتار بالقرآن الكريم، ودوسه في المسجد الأقصى وفي مسجد الخليل إبراهيم، مما زاد في جرأة الدول الأخرى المعادية للإسلام على اظهار عدائها في أجهزة إعلامها كما فعلت اليابان وغيرها.

د ـــ فصل مصر عن جسم الأمة الإسلامية وعزلة شعبها عن هذه الأمة.

هـ ـــ تطمين اليهود من دولة عربية من دول المواجهة كانوا يحسبون لها ألف حساب.

و ـــ قمع الحركات الإسلامية المخلصة ومصادرة مجلاتها ووسائلها الإعلامية، وارهاب كل حر مخلص يريد أن يدافع عن حقه.

هل هذه المعاهدة الآثمة ياوعاظ السلاطين شبيهة بصلح الحديبية؟؟ وصدق الله وكذب هذا النفر المتخاذل... ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم..﴾[1] الآية الكريمة. وصدق الله وكذب المداهنون : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين

---

(١) سورة المجادلة. الآية / ٢٢

واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون﴾[1].

وهكذا وبهذه الصورة تقف الصحف الإسلامية الملتزمة والثابتة على الحق في وجه كل التيارات المعادية وفي وجه المنافقين، تتصدى وتناقش وتحلل وتوضح للناس الحق والحقيقة والصواب، لا تهادن ولا تتزلف لمخلوق مهما كبر شأنه، لا يهمها سوى ارضاء الله تعالى والدعوة في سبيله، على الرغم مما تواجهه من مشاكل وصعوبات تصل إلى حد اغلاق مقراتها أو سجن اصحابها من قبل السلطات الحاكمة هنا وهناك.

ومما يؤسف له أن «مجلة الأزهر» لسان حال الهيئة العلمية والتراث الثقافي الإسلامي، تنطق بالباطل وتدخل في متاهات السيطرة السياسية أو العسكرية المعادية للإسلام. وتنافق السلطات.

إن المسلم الحق لا يتصور أبداً، أن يرفع علم اليهود الصهاينة في قاهرة المعز، وإلى جوار مآذن الأزهر الشامخة دائماً.. وتخصص لهذا العَلَم – السافل – ولمن ينضوي تحته من اليهود والصهاينة أفضل الحراسات وأرقاها تدريباً من ابناء جلدتنا، إن المسلم ليظل حيراناً من هذا الأمر المؤسف والمؤلم والمخزي في ذات الوقت... ولكن سيبقى أملنا في أهلنا بمصر الإسلام ومصر الأزهر كبيراً.. وما هي إلا إحدى غفلات الزمن سرعان ما تنتهي بمشيئة الله.

وصدق تعالى إذ يقول ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم

---

(١) سورة التوبة. الآية ٣٢

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[1]، ونحن نعلم أنه منذ عام ١٩٤٨ م حيث بداية معاركنا في فلسطين حتى المعاهدة المسماة ظلماً «بالسلام»، كان الصلح مع إسرائيل في نظر علماء الأزهر جريمة وخيانة كبرى. والفتاوى، وقرارات مؤتمر علماء المسلمين الذي دعا إليه الأزهر موجودة ومكتوبة. ولا ندري ما الذي حدث فانقلبت الأمور، وبرزت لنا الآيات والأحاديث التي تقول إن الإسلام يقر الصلح مع إسرائيل. وظهرت أيضاً قصة صلح الحديبية. ونحن نسأل لماذا في هذا الوقت؟ هل أسلام الأمس القريب غير إسلام اليوم؟ لماذا لم تظهر الآيات والأحاديث وصلح الحديبية – التي استغلت في غير مواقعها الصحيحة ـــ إلا في هذا الوقت؟ نسأل الله أن يرحم الأزهر الشامخ بأمجاده ومفاخره وعلمائه الأفذاذ، وألا تكون هذه الغفلة التي اصابته إلا سحابة صيف – كما يقال – ويعود الأزهر بأصالته وعزته. وتعود أيضاً مجلة الأزهر «لسان حال» هذا الصرح العملاق، إلى أصالتها والتزامها، مجلة للثقافة الإسلامية، تدعو إلى الله بصدق وثبات، لا تخشى في الله لومة لائم.

ونجد من المناسب في هذا الصدد أن نورد مقالاً، حول مسألة، «الوجود الصهيوني غير الشرعي في فلسطين» – ورد ضمن – الجزء التاسع لمجلة الأزهر – والصادر في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٣ هـ[2]. لنقف من خلاله على ما أصاب الأزهر في غفلة من الزمن وما وقع فيه من الانقلاب والتخبط والانتهازية بين المواقف

---

(١) سورة الممتحنة. الآيتان / ٨ ، ٩

(٢) يوافق هذا التأريخ شهر «ديسمبر» عام ١٩٧٣ م

السابقة والحالية. لمجلة تحمل اسم أكبر صرح شامخ من صروح خدمة الدعوة والثقافة الإسلامية كيلا نبخس الناس حقوقهم ... وفيما يلي نص المقال :

«الوجود الصهيوني غير شرعي في فلسطين»

فلسطين هي الفقرة الوسطى من العمود الفقري في وطننا العربي من المحيط إلى الخليج، والوسط الذي يصل آسيا بافريقية العربية، وهي النقطة التي تصل الجزيرة العربية بالبحر الأبيض المتوسط، والجسر القوي الذي عبرت عليه الدعوة الإسلامية... هذه الفقرة إذا انكسرت من عمودنا الفقري انكسر ظهر الوحدة العربية واختل ميزان القوى في هذا الشرق العربي وأصبحت نقطة خطر يهدد كياننا الاقتصادي والاجتماعي... فيها أولى القبلتين ومسرى نبينا محمد ﷺ. ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾[1].

ما انفكت هذه الآية الكريمة تقرع آذان المسلمين وتنبههم على أهمية هذه البقعة المقدسة وتحرضهم على الاحتفاظ بها. هذه البقعة جزء مهم من البلاد العربية، استوطنها العرب الكنعانيون حوالي ٢٥٠٠ ق م وأنشأوا مع أشقائهم الفينيقيين حضارة زاهرة في كنعان وفينيقية في الفنون والآداب والشرائع وصناعة التعدين وسبك المعادن وصناعة الحلي والنسيج والحلل والمركبات الحربية وبناء القصور

(١) سورة الاسراء - الآية / ١

والآطام، واستعملو الخيل لجر العربات وضربوا في البلاد بالملاحة والتجارة، وأنشأوا الموانىء في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة على الساحل الافريقي وكانوا السابقين في استعمال الألف باء في كتابة الرسائل والتوثيق، وعنهم وصلت إلى الأغريق ولا تزال تحتفظ باسمها العربي في جميع اللغات «ALPHA-but» أما اليهود فإن المؤرخين يكادون يجمعون على أن وجودهم في هذه المنطقة يحيط به الغموض ولم يرد اسمهم بين اسماء الأمم التي كونت حضارات راسخة في وادي الرافدين وعلى سواحل فينيقية وأرض كنعان، اللهم إلا ما ورد في اللوحة الحجرية التي سجل عليها ملك مصر منفتاح في ١٢٢٤ – ١٢٢٥ انتصاراته عليها والتي وجدت في مدينة طيبة وفي نهاية النصوص نص انتصارات حققها ضد الشعوب، ومن بينها شعب إسرائيل الذي يقطن في ناحية جدباء لا أثر للنبات فيها من ناحية من أرض كنعان .

ولم يذكر المؤرخون كياناً لهذه الفئة إلا ماجاء في كتب اليهود المقدسة، وتذكر التوراة تأريخهم مفصلاً وتصف كياناً متأرجحاً بين القوة والضعف مهزوزاً لم تتقبل وجوده الأمم المجاورة لهذه المنطقة وظلت تقاومه حتى أنهته إلى الأبد .

لقد كان اليهود بسلوكهم هدفاً لهجمات المصريين والآشوريين والكلدانيين ومن ثم الاغريق والرومان حتى عادت إلى حضن العرب والإسلام... ففي ٩٢٠ ق . م زحف ملك مصر على أورشليم وطرد هؤلاء المشاكسين وفي حوالي (٧٢٢ – ٧٢١ ق . م) صعد شلمتاحد وحاصر السامرة واستولى عليها وسبى الاسباط العشرة

من قبيلة بني إسرائيل ودفع بهم إلى آشور وأسكنهم في حلج وخابور ونهر جوزان ومدن مادى، وأتى بقوم من بابل وحماة وغيرها وأسكنهم في مدن السامرة.

وهكذا تلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد (ملوك ٢ – ١٧ : ٥ ، ١٤) ويقول المؤرخ فيليب متي : قد أظهر الرحالة بنيامين من بلدة توديلا في القرن الثاني عشر مقداراً كبيراً من الفهم التأريخي حين كتب أن الطائفة اليهودية في جبال نيسابور في شرق إيران ينحدر أفرادها من المسبيين الأصليين. وقد بقي من اليهود سبطان هما سبط يهوذا وسبط بنيامين، وقد اتخذوا أورشليم مكاناً لهم باسم مملكة يهوذا.

وفي حوالي ٦٠٠ ق . م أصبحت نهباً لغزوات الأمم حولها، يغزوها الكلدانيون والآرميون والمؤابيون والعمونيون وتذكر التوراة أن «يهود» أرسل هذه الأقوام على يهوذا ليبيدها.

وفي حوالي (٥٨٦ ق م) صعد «نبوخذ نصر» فأحرق الهيكل وبيت الملك وهدم أسوار المدينة وسبى أهلها وقاد الرؤساء والصناع والأقيان وملك اليهود ودفع بهم إلى بابل، وبذلك انتهت مملكة يهوذا إلى الأبد. ولم تقم لليهود قائمة بعد.

وعندما اختفت دولة بابل من ميدان السياسة في الشرق الأوسط على يد الفرس حوالي (٥٣٩) ق م، وجد ملك الفرس كورش أن فريقاً من السبي اليهودي لا يزالون موجودين في بابل فاراد أن يستفيد منهم ويستعين بهم على الكنعانيين، فأصدر بياناً يخول من يريد الرجوع منهم ووعدهم أن يعيد لهم بناء الهيكل.

وفي هذه الفترة أملى كهنة السبى التوراة على لسان عزرا وهي غير التوراة التي أنزلها الله على موسى. وقد منحهم الفرس صفة دينية تسمى «الكهانة» لإدارة شئونهم.

ثم جاء الأغريق واكتسح الاسكندر امبراطورية الفرس واستقبل متاعب اليهود، ففي ٣٣٣ انتهت امبراطورية فارس وابتدأ عهد الأغريق فتجاوب اليهود مع الأغريق بادىء الأمر وتبنوا عاداتهم وثقفوا لغتهم وتسموا باسمائهم وكان انتيوخس القائد الأغريقي يريد أن يصهر ممتلكاته في وحدة ثقافية لأنه يعتبر الهيلينية نقطة التقاء لجميع رعايا دولته ولما اراد أن يفرضها على اليهود وجدهم قد سبقوه إليها، ومع قبول اليهود للهيلينية فقد حصل اختلاف بينهم وبين الرومان في شأن الكهانة، فارسل القائد الروماني أحد ضباطه إلى أورشليم «وهو رئيس محصلي الضرائب» فهدم المعبد وسلب جميع ما فيه وقتل كثيراً من اليهود وهدم بيوتهم وسبى نساءهم وأطفالهم وأخذ جميع مواشيهم ومنع اليهود من احتفالاتهم يوم سبتهم وأقام مذبحاً للآله الأغريقي زيوس فوق الهيكل وقد ضعف شأن اليهود عن أية مقاومة، حتى جاء الرومان ففي حوالي (٦٤ ق . م) زحف القائد الروماني يومى «P mpey» إلى آسيا الصغرى وسوريا ودخل دمشق وفي (٣٧ ق . م) أصبحت أرض كنعان تحت حكم هيرود الكبير.

وفي عام ٧٠ م تقدم تيتوس إلى أورشليم فحاصرها وهدم الهيكل وأحرقه وحمل جميع ما فيه وحمله إلى الامبراطور، ويقول

مؤرخو اليهود إن هذا الحادث يعد مصيبة كبرى لا تشبهه مصيبة وقعت عليهم إلا مصيبة السبي عام ٥٨٦ ق . م.

وفي عهد هادريان خرج عليه رجل يهودي يدعى «بركوبا» ومعناه بالآرامية ابن الكوكب (١٣٢ ــ ١٣٥م) مدعياً أنه المسيح المنتظر في الاعتقاد اليهودي، فخرج إليه هادريان فقضى عليه، ولفشله سماه اليهود «بركوزيبا» أي ابن الكذب ثم هدم هادريان ما بقى من مدينة أورشليم وسواها بالأرض وبنى مكانها مدينة جديدة سماها «ايليا كابتولوينا» وهي التي تعرف عند العرب «ايلياء» وأبدل المعبد القديم واسكن في المدينة غير اليهود، وبعد قتل بركوزيبا هذا تفرق ما بقي من اليهود في العالم فانتشروا في لبنان وسوريا والعراق واليمن واستمر فريق منهم في هربه حتى وصل شواطىء أوربا.

وأشرقت الدعوة الإسلامية ورأى المسلمون أن الرسالة الإسلامية لم تكتمل ما لم تعد فلسطين إلى الوطن الأم. فانفذ أبوبكر ارسال جيش أسامة عام ٦٣٣ م الذي كان مهيئاً قبل وفاة الرسول وتوالت جيوش المسلمين في تحريرها حتى وقفت جحافل القائد العربي المسلم أبوعبيدة بن الجراح على أبواب القدس. فجاء القوم يعرضون الصلح ويشترطون أن يتولى الخليفة نفسه تسلم القدس، وفي الجابية أمضى عمر العهد واعطى فيه لسكان القدس الأمان في أنفسهم ودينهم وأموالهم ولا يسكن معهم في القدس أحد من اليهود. ومنذ ذلك اليوم طبعت القدس بالطابع العربي الإسلامي كما كانت مطبوعة بالعربي الكنعاني مدة سبعة وعشرين قرناً قبل الميلاد.

وبقيت كذلك عربية إلى ألف وخمسة وتسعين حيث بدأت

الحروب الصليبية وعبأت أوربا قواتها وزحفت على الشرق بمائة وخمسين ألفا احتلوا في طريقهم آسيا الصغرى وكثيراً من المدن في سوريا ووصلت جموعهم إلى القدس فحاصرها أربعون ألفاً منهم ولم تثبت الحامية الإسلامية في ذلك الوقت لقلة عددها واستسلمت بعد حصار دام شهراً ودخلت جيوش أوربا القدس عام ألف وتسعة وتسعين وذبحوا سكانها عن بكرة أبيهم لم يتركوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً وأقاموا فيها دولة لاتينية واحتلوا مدناً كثيرة في سوريا. ولم يدخل اليأس إلى قلوب المؤمنين وظلوا يدافعون ويقامون هذا الجسم الغريب مثلما تدافع العين الباصرة جسماً يدخل في موقعها «إن فلسطين عين البلاد العربية والإسلامية» وأخذت جيوش المسلمين تنتزع من الدخلاء مدينة بعد أخرى حتى برز القائد البطل صلاح الدين وأدرك لأول وهلة أنه لا يمكن القضاء على هذه الفئة المعتدية الغادرة إلا بتوحيد مصر مع سوريا فسار بجيشه إلى سوريا واستولى عليها ومن دمشق مثوى هذا البطل زحف لقتال المعتدين وحاصر طبرية فسقطت بيده ثم اتجه إلى «حطين» ونشبت المعركة الكبرى وأيد الله المؤمنين بنصره ووقع قواد الفرنجة أسرى بيده فأكرم مثواهم ولم يفعل بهم مثلما كانوا يفعلون بأسرى المسلمين.

كانت موقعة «حطين» موقعة فاصلة وأقبلت جنود العادل أخا صلاح الدين من مصر ففتحت المجدل ويافا، وسار الاخوان يرف عليهما علم النصر والمجد وحاصرا مدينة القدس فاستسلمت بعد أسبوع من حصارها في شهر تشرين الأول لعام ألف ومائة وسبعة

وثمانين، وهنا ظهر نبل صلاح الدين فأطلق سراح الأسرى وقبل الفدية وترك للنصارى العرب أملاكهم وسمح لهم في شراء متاع الفرنجة، واهتزت أوربا لهذا الحادث الجلل وأعادت الحرب جذعة واشترك في هذه المرة ثلاثة ملوك من أعظم ملوكهم وهم ملك بريطانيا رتشارد وملك ألمانيا فردريك وملك فرنسا فليب.

وأول حصار وقع منهم كان على عكا وبعد قتال طويل نفذت مؤنة الحامية ففاوضت على الاستسلام واطلاق السراح لقاء فدية وقد أعطاهم ريتشارد فرصة شهر واحد ولما لم يستطيعوا دفع الفدية أمر بذبحهم فذبحوا وكانوا ألفين وسبعمائة أسير، وفي عام ألف ومائة واثنين وتسعين (١١٩٢) اتفق صلاح الدين بعد حروب وغلبة لجيوش المسلمين أن يترك ريتشارد المسجد الأقصى وأن يسمح صلاح الدين للنصارى بالحج وقد أسكن صلاح الدين بعد موقعة حطين القبائل العربية وغادر فلسطين إلى دمشق وتوفى عام ١١٩٣ ألف ومائة وثلاثة وتسعين.

وانتهزت أوربا فرصة غياب صلاح الدين وزحفت مرة رابعة واستولت جيوشها على القدس ثم استردها منهم المسلمون واستطاع الظاهر بيبرس ملك مصر أن يوحد سوريا ومصر وأن يتفرغ لهؤلاء الدخلاء فيرسلهم إلى بلادهم وأسدل الستار في عمود الوطن العربي.

هكذا لعب اليهود في القرون الخالية في احداث القلق والاضطرابات في هذه المنطقة. وتحت شعار الصهيونية نسبة إلى أحد التلول التي تقوم عليها مدينة القدس تحرك الصهاينة في القرن التاسع عشر في تنفيذ خططهم بعد نجاح مؤتمرهم الأول الذي عقد

في مدينة «بازل» من مدن سويسرا عام ١٨٩٧ برئاسة هرتزل.

والصهيونية حلقة من حلقات التآمر اليهودي والتكتل ضد الشعوب التي يعيشون في ظلالها تثبيتاً لاقدامهم وتعزيزاً لسيطرتهم ظهرت في بلاد العرب أولاً بقيادة كعب الاحبار ثم تكونت السبئية بقيادة عبدالله بن سبأ ولعبت دورها في العالم العربي وانتقلت بنظام جديد وتعبئة جديدة تحت اسم الماسونية في الغرب، وتغلغلت هذه الحلقة حتى شملت أرجاء العالم وعادت مرة أخرى إلى بلاد العرب وهي التي دفعت الصهيونية بيد خفية، فالصهيونية مظهر من مظاهر الماسونية. والماسونيون في جميع البلدان هم الذين يساعدونها ويدفعونها، وهم الذين يجندون لها الصحافة ووسائل الإعلام، وبأموالهم يشترون الذمم ويقدمون للبسطاء وسائل الاغراء.

ولقد لعب الاستشراق الصهيوني دوراً مهماً للحط من شأن العرب والإسلام وكان أبرز المستشرقين – كولد تسيهر – الذي لم يجد شيئاً يحطّ من قدر الرسالة الإسلامية إلا دسه في مؤلفاته، وأخذ تلامذته يهولون أمر الجهاد المقدس ويصورون العرب والمسلمين في أعين الأوربيين بصورة مخيفة ويفهمون الغرب أن الجهاد المقدس موجه ضدهم ومؤمل في كل لحظة، وانتشرت هذه الفكرة على لسان كل مستشرق ناشيء أو خرف، وسارت بين عجائز المقاهي يتحدثن بها وينقلنها إلى أولادهن وأحفادهن، فيجدون فينا خصماً مخيفاً وعدواً لدوداً، ولعبت الرأسمالية الصهيونية في توجيه الاستعمار إلى الشرق دوراً واسع النطاق، وأخذ المستعمرون يجوبون أقطار الشرق الأوسط للتفتيش عن الأسواق التجارية والمواد الخام الأولية.

فكان ذلك مأساة الاستعمار، وبذل دزرائيلي اليهودي الذي كان رئيساً للوزارة البريطانية جهداً عظيماً في وضع جزيرة قبرص تحت الإدارة البريطانية فتنازلت عنها الدولة العثمانية بمقتضى اتفاق منفصل أقره مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، وتمكن هذا الصهيوني الخطر من شراء أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥ عندما نزلت بالخديوي ضائقة مالية.

وفي غمرة هذه التعبئات خامر الصهاينة إنشاء دولتهم فكتب هرتزل إلى السلطان عبدالحميد يطلب منه شراء أراض في فلسطين لقاء أتاوة من المال مستمرة يقدمها إلى السلطنة في كل عام فرفض السلطان هذا العرض بكل اباء إسلامي وشمم.

[وأين نحن اليوم من موقف هذا السلطان المسلم الذي قال : هذه أرض المسلمين وليست أرضي كي اتصرف بها، أين قياداتنا العربية الاسلامية اليوم من هذا القائد الفذ ؟ أين نحن من هذه المواقف الشريفة؟ قيادتنا تنادي اليوم بجزء من أرض المسلمين مقابل الصلح مع العدو؟! وكأن اليهود هم الممتنون والمتفضلين علينا نحن أصحاب الأرض الشرعيين؟].

واستمرت دسائس المحافل الماسونية تعبث من وراء ستار تغري البسطاء بالمال والمناصب والنساء حتى وقعت الحرب العالمية الأولى، فكان الرجل المريض – الدولة العثمانية – التي هدّت أركانها أفاعي الماسونية فريسة لاطماع الاستعمار واستغل وايزمن اختراعه مادة الاسيتون الضرورية للمتفجرات فاشترى من بلفور وعده بهذه المادة. وهو وعد جائر صادر ممن لايملك التصرف في حقوق الغير، أهم مافيه إنشاء وطن قومي لليهود دون الاخلال بحقوق المواطنين الأصليين.

ومع كل عوامل الضعف في شرعية هذا الوعد تعلق به الصهاينة وعبأوا لتحقيقه كل القوى. خاصة وهم يمتلكون مفاتيح ثروات الأمم والسيطرة على المصارف وعلى وسائل الإعلام وعلى توجيه الآداب في السينما والمسرح وعلى امتلاك ناصية السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، فالرئيس الذي لا ينصّبه اليهود في البيت الأبيض يبقى كرسيه يتأرجح من تحته، والسناتور الثري صاحب المعمل الذي لا يتكلم في جهتهم يتدهور اقتصاده، والسياسة الاستعمارية تريد لها مخلب قط وهم مستعدون لذلك. وقد جربوا مثل ألاعيبهم هذه في حروبهم، فهم يستندون إلى الخطف وقصر الوقت، لأنهم لا يستطيعون أن يثبتوا في حروب طويلة الأمد، فمثلهم مثل الثعلب يخطف ويهرب ثم يطلبون الهدنة، وفي الهدنة يماطلون ويكسبون ويستغلون قوى الاستعمار لتبرير أفعالهم وأعمالهم، وإذا شعروا بالاحراج عمدوا إلى الاغتيال والتخريب، وقد اغتالوا برنادوت وذهبت حياته كصوت في واد، وإذا اعدنا النظر في حروبنا معهم نستطيع أن نعرف كيف استطاعوا بناء إيلات وكيف أخذوا يزحفون على الأراضي المحتلة شبراً شبراً، وكيف هيأوا أنفسهم في كسب الوقت وغدروا غدرتهم الأخيرة، بل التي لا نهاية لها حتى تقوم الساعة.

لم يلتفت الصهيونيون إلى مقررات هيئة الأمم المتحدة إيام برنادوت، و لم يلتفت الصهيونيون إلى مقررات مجلس الأمن في إيام يارنج وهذا الأخير منكمش على نفسه حائر لا يدري ماذا يفعل.

[بينما نحن العرب المسلمين نلتفت إلى الأمم المتحدة ومجلس

الأمن فيها رغم ما حل ويحل بنا من مصائب، ونستجدي قرارات الشجب والاستنكار والادانة منهماً ثم مكانك سر!] موقف صهيوني يتحدى العالم. وهيئة الأمم قائمة ومجلس الأمن قائم وحق تقرير المصير في إعلان حقوق الإنسان أهم مكسب من مكاسب حضارة القرن العشرين تفتخر به هيئة الأمم المتحدة والكارثة معروضة أمام الجميع : تهجير مواطن شرعي وإسكان مغتصب دخيل مكانه وهدم وابادة، وضمير البيت الأبيض قائم أمام هذه الكارثة يقظ متوثب أمام الغدر.

ـــ هذه الكارثة لم تكن أول قارورة كسرت في قضية فلسطين وإنما هي واحدة من سلسلة متعاقبة ستليها أخريات لا يقطعها إلا وعي عام وتربية جيل قوي يعرف أن مستقبل الأجيال الزاهر منوط بحاضره.

ـــ وتعبئة عاجلة سريعة منسقة في العدة والمال مرتكزة على وحدة الصف والإيمان بحقنا في الحياة.

ـــ وثورة عارمة في ابعاد العملاء الماسونيين، والعملاء المغرر بهم والمخدوعين.

ـــ تهيئة أجهزة إعلام في الغرب لنشر أباطيل هذه العصابة، فإن الغرب يفهم حقيقتها ويعرف قوة تسلطها على ثروته وإدارة بلاده.

ـــ كسب الرأي العام العالمي وتكوين الصداقات مع الأمم بطريق «الدبلوماسية» القوية.

ـــ تكوين قوة عربية إسلامية رادعة تردع الخصم، وخلق جيل متين يحمي الأمة من الدخلاء والعملاء والمعوقين.

ـــ قيام اعلامنا – بكل وسائله – بتعرية طبيعة ذلك التعامل النفاقي

في القرارات الصادرة عن القوى الاستكبارية العالمية – من خلال الهيئات الدولية – المُسيطر عليها – مع موضوع اغتصاب الأراضي وتشريد أهلها، ومع جميع قضايانا العربية الاسلامية العادلة .

وهنا نسمح لأنفسنا أن نقف وقفة المتأمل ونسأل لماذا انهارت إسرائيل إن صح تسميتها دولة في العصور القديمة وانتهى أمرها إلى الأبد وبسرعة قصيرة؟ والإجابة على ذلك أن اليهود كانوا غرباء عن هذه المنطقة وانهم رعاة أغنام وابقار حلوا وسط شعوب لها حضاراتها ونظمها، وانهم جاءوا بنية مبيتة جاءوا ليستأصلوا السكان ويحطموا الحضارات ويغتصبوا الأوطان، وكانوا أسسوا دويلتهم في القديم على حساب أهل البلاد الأصليين وأخذوا يهددون الممالك المجاورة في اقتصادها واجتماعها وسياستها فنفرهم المجتمع المحيط بهم مثلما ينفر الجسم عن الجسم الغريب.

وقد شعرت الأمة العربية ومعها الأمم الأخرى بهذا الاخطبوط الذي أخذ يمد خراطيمه في آسيا وإفريقيا ويغزو البلاد ويقتطع الأوطان ويحتجز منابع الثروات لتكديس الأموال في المصارف «البنوك»، وقد مر بنا سلوكه في حروب ثلاثة، كيف كان يخدع ويراوغ حتى بلغ السيل الزبى؟ وكان للوعي العربي الإسلامي والآسيوي والإفريقي أثر كبير في التنبه لهذا الخطر، وكان تعبير العاشر من رمضان ٦ أكتوبر عن هذا الوعي أعظم تعبير، أوضح للعالم أننا أصحاب حق وطلاّب عدل ... سنواصل السير في تحقيقه حتى النصر الكامل بمشيئة الله.